جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الرحمة الربانية
في سورة الأعراف
دراسة موضوعية

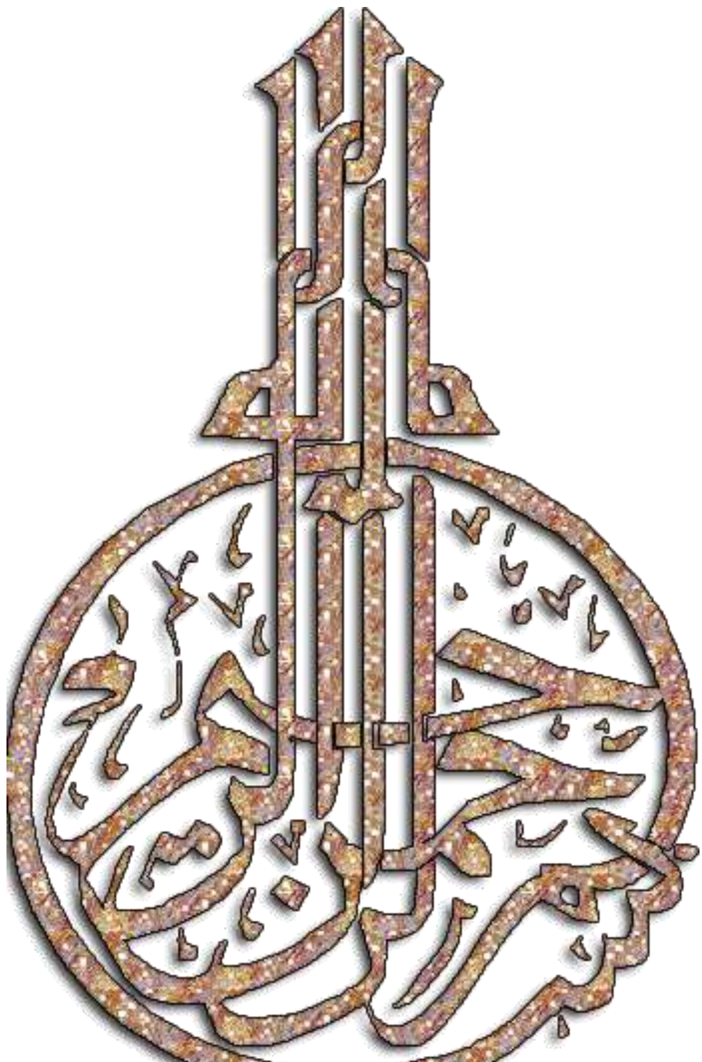
إعداد الدكتورة

هند بنت إبراهيم التويجري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الدراسات القرآنية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الرابع والثلاثون، لعام ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ - ٢٠١٥م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٥/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخـــص

الرحمة الربانية في سورة الأعراف
"دراسة موضوعية"

د.هند بنت إبراهيم عبدالله التويـــجري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الدراسات القرآنية
كلية الآداب والعـــلوم الإنسانية بجامعة طيبة

دأب العالم الغربي في السنوات الأخيرة في كل مناسبة على ربط الإسلام بالإرهاب والعنف، في الوقت الذي تعدّ الرحمة هي السمة الأبرز من سمات هذا الدين العظيم في كل جانب من جوانبه، في العقيدة والشريعة، والأخلاق والمعاملات بل حتى في حدوده وعقوباته رحمات.

لذا رأيت أن أدلي بدلوي في الإسهام بالبحث عن هذا الموضوع المهم من خلال سورة الأعراف في محاولة من الباحثة للتنبيه على أن الرحمة من أوسع صفات الرب (ﷻ)، ومن أكبر مقاصد القرآن الكريم، ومن أعظم أخلاق النبي (ﷺ) ومن أبرز سمات هذا الدين العظيم.

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستقرائي، حيث قُسم هذا البحث إلى:مقدمةً، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ففي التمهيد عرفت في المبحث الأول منه بالرحمة من حيث معناها اللغوي والاصطلاحي، ومن حيث كونها صفة من الصفات الثابتة لله (ﷻ)، وفي كون الرحمن والرحيم من أسمائه الحسنى، ومعاني الرحمة في القرآن، ثم عرفت بسورة الأعراف من حيث اسمها، وفضلها، ونزولها، وأغراضها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ثم في الفصل الأول تحدثت عن أنواع رحمة الله (ﷻ): الرحمة العامة للمؤمنين وغيرهم في الدنيا، والرحمة

الخاصة بالمؤمنين في الدنيا ولآخرة، ثم في الفصل الثاني تناولت أسباب نيل رحمة الله حيث تنال بالإحسان، وتنال بالطاعة، و التعبد لله تعالى بسؤاله الرحمة، وفي الفصل الثالث تحدثت عن آثار رحمة الله تعالى بـ: إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإنزال المطر، ورفع البلاء، وقبول توبة التائبين والعفو عن العاصين، أما الخاتمة: فسجلت فيها أهم نتائج البحث مع الاقتراحات والتوصيات.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، أحمده سبحانه أنزل كتابه يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها السلامة يوم القدوم عليه جودا منه وكرما، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى جميع الخلق عربا وعجما، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد بعث الله سبحانه إلى البشرية محمدا (ﷺ) على فترة من الرسل وضلال من الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، وأيّد الله نبيه بالآيات الباهرة التي تدل على صدقه وصدق دعوته، ومن أهمّ وأجلّ تلك الآيات التي أعز الله بها نبيه كتاب الله تعالى، فكان هذا القرآن وثيقة النبوة الخاتمة ولسان الدين الحنيف وقانون الشريعة، وقاموس اللغة، به الاهتداء وإليه الاحتكام، وقد تحدى به المصطفى (ﷺ) العرب البلغاء أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا وأنّى لهم أن يستطيعوا؟! فهو معجز بكل ما فيه، ومن أعظم وجوه إعجازه كمال كل موضوع منه على حدة حين نجمعه ونؤلف منه كيانا واحدا مؤتلفا غير مختلف، فرغم أن هذا القرآن قد تواتر نزوله نجوما متفرقة على مدار ثلاث وعشرين سنة إلا أننا حين ننظر إلى كل نجم نجده في موقعه من ترتيب السورة متآلفا متناسقا مع سابقه ولاحقه، ثم حين نجمع نجوم الموضوع معا نجدها على غاية التوافق والتناسق، وكأن أقساطه نزلت جميعا في وقت واحد، وهذا ضرب بالغ الإعجاز لا يطيقه بشر مهما أوتي من إحكام العقل وجودة العلم والفكر.

لذا فإنني قد عقدت العزم مستعينة بالله تعالى على تناول أحد موضوعات القرآن الكريم، وهو موضوع الرحمة الربانية في سورة الأعراف، راجية بذلك أن أبرز هذا الضرب من الإعجاز من خلال تكامل عناصر هذا الموضوع.

ومما دعاني لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة منها:

(١) إن الفقه بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى هو الفقه الأكبر، وهو أشرف العلوم الشرعية لتعلقها بأشرف معلوم، فكيف إذا جمع إلى ذلك شرف بحثه من خلال القرآن الكريم الذي هو أحق ما يشتغل فيه الباحثون، ويتنافس فيه المتنافسون!.

(٢) ثم إن اشتغال العبد بمعرفته سبحانه هو اشتغال بما خلق له، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له.

(٣) ثم إنه متى ما كان المرء عالما بالله حقيقة فإنه يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يشرعه من الأحكام؛ لأنه سبحانه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، والرحمة من صفاته جلّ وعزّ، لذا فهو لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلا حسب ما تقتضيه رحمته وهذا لا شك يزيد الإنسان إيمان ويقينا.

وأما اختياري لسورة الأعراف لتكون موضعا للبحث فللأسباب التالية:

كون هذه السورة تعدّ من أكثر سور القرآن شمولا لوصف الرحمة في مواضع مختلفة سواء من خلال ذكر أنواع رحمة الله، أو ذكر أشكالها، أو من خلال ذكر من ينالون هذه الرحمة.

ويهدف البحث في هذا الموضوع إلى:

(١) إبراز إعجاز القرآن بتكامل جوانب موضوع الرحمة في سورة واحدة فكيف به لو بحث في القرآن كله؟!.

(٢) التنبيه على أن الدين الإسلامي ممثلا بدستوره الأول (القرآن الكريم) هو دين الرحمة وذلك من خلال كثرة طرقه لموضوع الرحمة من كافة الوجوه، قال ابن سعدي:"إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها"([١])، وليس كما يتهم الإسلام اليوم بأنه مصدر لكل إرهاب.

(٣) زيادة اليقين بالله تعالى والثقة به من خلال معرفة أنه الرحمن الرحيم.

(٤) معرفة الأسباب الموجبة لرحمة الله تعالى، والحرص على التعرض لها.

(٥) التأكيد على أن كل ما نتقلب فيه من النعم الدينية والدنيوية إنما هو من آثار رحمة الله تعالى.

حدود البحث:

جمع المواضع التي وردت فيها الرحمة في آيات سورة الأعراف، ومن ثم تشكيل موضوع متكامل منها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أنْ يُقَسَّمَ مقدمةً، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على:

*أسباب اختيار هذا الموضوع.*أهداف البحث.*حدود البحث.*خطة البحث.*منهج البحث.

التمهيد: تعريف بالسورة والعنوان، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالعنوان، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: في معنى الرحمة لغة. المطلب الثاني: في معنى الرحمة اصطلاحا.

---

(١) الرياض الناضرة (٦١).

المطلب الثالث: في أن الرحمة صفة من الصفات العليا الثابتة لله تعالى.

المطلب الرابع: في أن "الرحمن – الرحيم" من أسمائه الحسنى.

المطلب الخامس: في معاني الرحمة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التعريف بالسورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وقفة في أسمائها. المطلب الثاني: وقفة في فضلها.

المطلب الثالث: وقفة في نزولها.

المطلب الرابع: وقفة في أغراضها.

المطلب الخامس: وقفة في مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

الفصل الأول: أنواع رحمة الله تعالى، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رحمة عامة للمؤمنين وغيرهم في الدنيا.

وفيه من الآيات قوله تعالى: { **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**} (الأعراف:١٥٦).

المبحث الثاني: رحمة خاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

وفيه من الآيات قوله تعالى: { **أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**} (الأعراف:٤٩).

وقوله تعالى: {**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} (الأعراف:٥٦).

وقوله تعالى: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**} (الأعراف:١٥٦).

الفصل الثاني: أسباب نيل رحمة الله، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تنال بالإحسان.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** (الأعراف:٥٦).

المبحث الثاني: تنال بالطاعة.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** (الأعراف:٦٣).

وقوله تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}** (الأعراف:١٥٦).

وقوله تعالى: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** (الأعراف:٢٠٤).

المبحث الثالث: التعبد لله تعالى بسؤاله سبحانه الرحمة.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** (الأعراف:٢٣).

وقوله تعالى: **{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**(الأعراف:١٤٩).

وقوله تعالى: **{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}**(الأعراف:١٥١).

وقوله تعالى: **{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}**(الأعراف:١٥٥).

الفصل الثالث: آثار رحمة الله، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: إرسال الرسل.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**(الأعراف:٦٣).

المبحث الثاني: إنزال الكتب.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**(الأعراف:٥٢).

وقوله تعالى: **{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}**(الأعراف:١٥٤).

وقوله تعالى: **{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** (الأعراف:٢٠٣).

المبحث الثالث: إنزال المطر.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(الأعراف:٥٧).

المبحث الرابع: رفع البلاء.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ}**(الأعراف:٧٢).

المبحث الخامس: قبول توبة التائبين والعفو عن العاصين.

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}**(الأعراف:١٥٣).

أما الخاتمة: فسجلت فيها أهم نتائج البحث مع الاقتراحات والتوصيات.

منهج البحث:

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك كما يلي:

(١) مهدت لهذا البحث بتمهيد ذكرت فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي للرحمة، ثم بينت أن الرحمة صفة من صفاته تعالى العليا،وبينت معنى اسميه تبارك وتعالى الرحمن والرحيم، ثم ذكرت المعاني التي وردت للرحمة في القرآن الكريم.

(٢) حصرت المواضع التي ورد فيها لفظ الرحمة في سورة الأعراف وجمعت آياتها، وقسمت الموضوع إلى فصول مختلفة من خلال المعاني التي قررتها الآيات الكريمات.

(٣) وضعت تحت كل فصل ما يناسبه من الآيات واقتصرت على ذكر موضع الدلالة من الآية الكريمة مستعينة في ذلك بأقوال كبار المفسرين (ﷺ).

(٤) لم ألتزم في وضع الفصول بترتيب الآيات في السورة، بل بما يتناسب وتشكيل جوانب الموضوع.

(٥) ربما أذكر الآية الواحدة تحت أكثر من فصل وذلك لاشتمالها على أكثر من معنى فأضطر لتكرارها في فصول أخرى.

(٦) خرّجت الأحاديث المستشهد بها بذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث، مكتفية بالصحيحين أو أحدهما، وإن لم يكن الحديث فيهما أو في أحدهما خرّجته من مسند أحمد والسنن، وذكرت حكمه من حيث الصحة والضعف.

(٧) شرحت المفردات الغريبة مستعينة بمعاجم اللغة ومصنفات غريب القرآن.

(٨) ذكرت بعض الفوائد واللطائف حول الآيات التي سأتناولها، والتي يكون لها زيادة في إيضاح المعنى، أو ذكر لبعض وجوه البلاغة والإعراب، والتي من شأنها أن تبرز جمال النظم القرآني الكريم.

(٩) ذكرتما أجد في الآيات من القراءات وتوجيهها لما يضفيه ذلك على الآية من زيادة بيان للمعنى.

هذا والله تعالى أسأل أن يلهمني الصواب والسداد، حتى أخرج هذا البحث على خير ما يكون، إنه أكرم مسئول وأقرب مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

المبحث الأول

التعريف بالعنوان، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: في معنى الرحمة لغة:-

قال ابن فارس: "(رحم) الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة"(١).

فالرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه، والمرحمة مثله،وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرُّحم -بالضم-الرحمة, كما قال تعالى: **{وَأَقْرَبَ رُحْمًا}**(٢)، وقرئت:**(رُحُماً)**(٣)، يقال:ما أقرب رُحْم فلان: أي ما أرحمه وأبرَّه، والرُحُم بضمتين مثله، يقال: رَحِمَه رُحْماً ورُحُماً ورَحْمَة ومرحمة كما قال تعالى: **{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}**(٤)، أي: أوصى بعضهم برحمة الضعيف والتعطف عليه، وترّحم عليه: دعا له بالرحمة، وقال: رحمة الله عليه،واسترحمه: سأله الرحمة. والرحموت من الرحمة، وفي المثل: رهبوت خير من رحموت، أي: لأن ترهب خير من أنترحم.

وأم رُحْم وأم الرُّحْم: مكة، أي: أصل الرحمة، والمرحومة من أسماء مدينة رسول الله (ﷺ).

والرَّحِمُو الرِّحْمُ: بيت منبت الولد ووعاؤه في البطن.

---

(١) مقاييس اللغة (٤٩٨/٢).

(٢) (الكهف: ٨١).

(٣) هي قراءة ابن عامر بضم الحاء، وقراءة الجمهور بإسكانها، ينظر التيسير في القراءات السبع (١٤٥)، والعنوان في القراءات السبع (١٢٤).

(٤) (البلد: ١٧).

والـرِّحِمُ: أسـباب القرابـة، وأصـلها الـرِّحِمُ التـي هـي منبـت الولـد([1]). قـال ابـن الأثير: "ذوو الرحم هم الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسب ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء، يقال: ذو رحم مَحْرَم ومُحَرّم وهو: من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة"([2]).

وقـال الراغـب: "الـرَّحِمُ: رَحِـمُ المـرأة..، ومنـه اسـتعير الـرحم للقرابـة؛ لكـونهم خارجين من رحم واحدة"([3]).

ومنه قوله تعالى: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}**([4])، قرئت بالنصب والخفض([5])، فمن قرأ بالنصب أراد: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ومن قرأ بالخفض أراد: تسألون به وبالأرحام([6]).

المطلب الثاني: في معنى الرحمة اصطلاحا:-

قال الجرجاني في تعريفها: "هي إرادة إيصال الخير"([7]).

وقال الكفوي: "هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان"([8]).

(١) ينظر: مختار الصحاح (١٢٠)، ولسان العرب (١٢/٢٣٠-٢٣٣)، والقاموس المحيط (١١١١-١١١٢)، وتاج العروس (٣٢/٢٢٥-٢٣٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢١٠-٢١١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٣٤٧).

(٤) (النساء:١).

(٥) قراءة الخفض لحمزة والجمهور بالنصب، ينظر التيسير في القراءات السبع (٩٣)، والعنوان في القراءات السبع (٨٣).

(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة (٣/١٢١)، وحجة القراءات (١٩٠).

(٧) التعريفات (١١٠).

(٨) الكليات (٤٧١).

وقال الجاحظ: "الرحمة هي محبة للمرحوم مع جزء من الحال التي من أجلها رحم"(١).

وقال الراغب: "الرَّحْمَةُ رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ"(٢).

وقال الفيروزآبادي: "الرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يُسكنهم دارَ ثوابه، وبها رزَقهم، وعافاهم، وأنعم عليهم"(٣).

والتعريف الأول أشملها إذ لا يشترط رقة قلب الراحم ولا محبة المرحوم.

المطلب الثالث: في أن الرحمة صفة من الصفات العليا الثابتة لله تعالى:-

الرحمة من الصفات الذاتية الثابتة لله (ﷻ) بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والعقل.

وأدلة ثبوتها في كتاب الله كثيرة متنوعة، فقد وردت بالاسم مثل قوله تعالى: **{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}**(٤)، وبالصفة مثل قوله تعالى: **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ}**(٥)، وبالفعل مثل قوله تعالى: **{وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ}**(٦).

---

(١) تهذيب الأخلاق (٢٤).

(٢) المفردات (٣٤٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٣/٥٥).

(٤) (الفاتحة: ٣).

(٥) (الكهف: ٥٨)

(٦) (العنكبوت: ٢١).

أما من السنة فالأدلة أيضا كثيرة منها: حديث أبي هريرة (ﷺ)؛ قال: قال رسول الله (ﷺ): (لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي تغلب (أو: غلبت) غضبي)([1]).

وحديث عمر بن الخطاب (ﷺ)، أنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ (ﷺ): **(أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ)** قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: **(لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)**([2]).

وقد أجمع سلف هذه الأمة على أن من صفات الله تعالى "الرحمة"، وأثبتوا هذه الصفة، كما أثبتها سبحانه لنفسه وأثبتها له نبيه (ﷺ).

أما ثبوتها عقلا فيمكن القول: إن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين من غير حول منهم ولا قوة؛ دالة على ثبوت الرحمة لله (ﷻ)، ودلالتها على ذلك ظاهرة بينة جليّة لكل أحد.

وهي منصفات الله تعالى العليا المختصة به سبحانه، اللائقة بكماله وجلاله، نؤمن بها من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد مشابهة أو مثلية، أو تأويل يسوق إلى التعطيل، قال تعالى:{ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**}([3])، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١٠٦/٤)، ح: (٣١٩٤)، ومسلم (٢١٠٧/٤)، ح: (٢٧٥١).

(٢) أخرجه الشيخان، البخاري في الصحيح (٨/٨)، ح: (٥٩٩٩)، ومسلم في الصحيح (٢١٠٩/٤)، ح: (٢٧٥٤).

(٣) (الشورى: ١١).

وكما قال ابن القيّم: "فإن الرحمة صفة الرحيم، وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيوانا له قلب فرحمته من جنسه رقّةٍ قائمة بقلبه، وإن كان ملكا فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق، وهذا يطرد في سائر الصفات"([1]).

المطلب الرابع: في أن "الرحمن -الرحيم" من أسمائه الحسنى:-

الرحمن والرحيم اسمان من أسمائه الحسنى، كثر ورودهما في القرآن، ولهذين الاسمين شأن كبير ومكانة عظيمة؛ فهما الاسمان اللذان افتتح الله بهما أم القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدى والبيان، وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها الشيطان، وافتتح بها كتاب نبي الله سليمان (عليه السلام)، وكان جبريل ينزل بها على النبي (ﷺ) عند افتتاح كل سورة من القرآن([2]).

وقد ورد هذان الاسمان في القرآن الكريم مقترنين في ستة مواضع، كما أن كلا منهما قد ورد فيه منفردا، وكذلك فإن اسمه تعالى الرحيم قد جاء في القرآن الكريم مقترنا ببعض الأسماء الحسنى الأخرى.

وهما مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة، ورحمان أشد مبالغة من رحيم إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى والدليل على اشتقاقه ما جاء في الحديث القدسي من حديث عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: قال (ﷺ): قال الله تعالى: (أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن يصلها أصله ومن يقطعها أقطعه فابته)([3]).

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣٦٣).

(٢) ينظر فقه الأسماء الحسنى (١٠٢).

(٣) مسند أحمد (١٩٨/٣)، وقال محققوه: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

ومعنى اسمه (الرحمن): ذو الرحمة الواسعة،التي لا غاية بعدها في الرحمة فرحمته وسعت كل شيء،لأن فعلان في اللغة تدل على السعة والامتلاء، فرحمته وسعت الخلق في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، ومصالحهم، وعمت المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح.

أما (الرحيم): على وزن فعيل بمعنى فاعل، أي: راحم، وبناء فعيل للمبالغة، والمعنى: المثيب على العمل فلا يضيع لعامل عملا، ولا يهدر لساع سعيا، وينيله بفضل رحمته من الثواب أضعاف عمله([1]).

والرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يتسمى به غيره، ولا يوصف، قال تعالى:{**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**}([2])، فعادل به الاسم الذي لا يشركه غيره فيه.

وقد اخرج الطبري بسند حسن عن الحسن قال: (الرحمن اسم ممنوع).

ثم قال الطبري معقبا: "مع أن في إجماع الأمة من منع التسمِّي به جميعَ الناس، ما يُغني عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره"([3]).

وأما الرحيم فيوصف به غيره، فيقال: رجل رحيم، قال تعالى عن النبي (ﷺ): {**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**}([4]).

والحسن في أسماء الله تعالى يدل عليه كل اسم بانفراده، ويدل عليه اقترانه مع غيره.

---

(١) ينظر شأن الدعاء (٣٥-٣٨)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٣٨).

(٢) (سورة الإسراء:١١٠).

(٣) جامع البيان (١/١٣٣-١٣٤).

(٤) (سورة التوبة:١٢٨).

وفي اسمه تعالى (الرحمن) كمال، وفي اسمه (الرحيم) كمال، واقتران هذين الاسمين الكريمين من أسمائه الحسنى (الرحمن الرحيم) جاء لبيان مزيد كمال لله جل وعلا، فوق ما يدل عليه من كمال كل اسم بانفراده، ومن معاني اجتماع هذين الوصفيين (الرحمن الرحيم) ما يلي:

الأول: التنبيه على أن لله رحمة خاصة وعامة، فالرحمن ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا والآخرة، والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: **{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}**([1]). فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدنيا والآخرة ل جميع الخلق، والرحيم خاص بالمؤمنين.

فربُّنا جل ثناؤه رحمنُ جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيمُ المؤمنين خاصةً في الدنيا والآخرة.

الثاني: الرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، فالرحمن خاص من حيث أنه لا يسمى به أحد إلا الله، وعام من حيث أنه يشمل جميع الموجودات بالنفع، والرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين في التسمي به، خاص من طريق المعنى من حيث كونه خاص بالمؤمنين.

الثالث: أن الرحمن دال على الصفة الذاتية، والرحيم دال الصفة الفعلية.قال ابن القيم:" الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: **{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}** **{إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}** ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن

(١) (سورة الأحزاب:٤٣).

الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"(1).

المطلب الخامس: في معاني الرحمة في القرآن الكريم:-

قال الفيروز آبادي: "وقد ورد الرّحمة فى القرآن على عشرين وجهاً:

الأَوّل: بمعنى منشور القرآن: {**وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**}.

الثانى: بمعنى سيّد الرُسُل: {**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**}، وقال (ﷺ): "إِنَّما أَنَا رَحْمَة مُهْدَاة".

الثالث: بمعنى توفيق الطَّاعة والإِحسان: {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ**}.

الرَّابع: بمعنى نبوّة المرسلين: {**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ**}.

الخامس: بمعنى الإِسلام والإِيمان: {**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ**}.

السّادس: بمعنى نعمة العِرفان: {**وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ**} أَى معرفة.

السّابع: بمعنى العصمة من العصيان: {**إِلاَّ مَن رَّحِمَ**}.

الثامن: بمعنى أَرزاق الإِنسان والحيوان: {**لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي**}.

التاسع: بمعنى قَطَرَات ماءِ الغِيثان: {**وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ**}.

العاشر: بمعنى العافية من الابتلاءِ والامتحان: {**أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ**}.

الحادى عشر: بمعنى النجاة من عذاب النيران: {**وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**}.

الثانى عشر: بمعنى النُصْرَةِ على أهل العدوان: {**أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً**}.

(1) بدائع الفوائد (1/24).

الثالث عشر: بمعنى اللأُلْفة والموافقة بين أَهل الإِيمان: **{وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذين اتبعوه رَأْفَةً وَرَحْمَةً}**.

الرابع عشر: بمعنى الكتاب المنزل على موسى بن عمران: **{وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى إِمَاماً وَرَحْمَةً}**.

الخامس عشر: بمعنى الثناء على إِبراهيم والوِلدان: **{رَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البيت}**.

السّادس عشر: بمعنى إِجابة دعوة زكريا مبتهلا إِلى الله المَنَّان: **{ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ}**.

السّابع عشر: بمعنى العفو عن ذوى العصيان: **{لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله}**.

الثامن عشر: بمعنى فتح أَبواب الرَّوْحِ والرَّيْحان: **{مَّا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا}**.

التاسع عشر: بمعنى الجنَّةِ دار السّلام والأَمان: **{إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ المحسنين}**.

العشرون: بمعنى: صفة الرّحيم الرحمان: **{كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرحمة}**. وفي الخبر: "إِنّ الله تعالى خلق الأَرواح قبل الأَجساد بأَربعة آلاف سنة، وقدَّر الأَرزاق قبل الأَرواح بأَربعة آلاف سنة، وكَتب الرَّحمة على نفسه قبل الأَرزاق بأَربعة آلاف سنة. ولهذا قال: سبقت رحمتى غضبى، وعفوى عقابى"(١).

المبحث الثاني

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/٥٥-٥٨).

التعريف بالسورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: وقفة في أسمائها:-

تسمى السورة بسورة الأعراف, وهو اسمها المشهور عند السلف وفي المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة,ووجه تسميتها أنه ذكر فيها لفظ الأعراف في قوله تعالى: {**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ**}(١)، ولم يذكر في غيرها من سور القران؛ ولأنها ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ ولكنه ذكر بلفظ (سور) في قوله تعالى: { **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**}(٢)، ولم يذكر الزركشي(٣) ولا السيوطي(٤) لها اسم غيره.

وسماها الفيروزآبادي(٥) بسورة الميقات؛ لاشتمالها على ذكر ميقات موسى في قوله تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا**}(٦)، وسورة الميثاق لاشتمالها على حديث الميثاق في قوله تعالى: {**أَلَسْت بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**}(٧).

ترتيب السورة في المصحف وعدد آياتها:

---

(١) (الأعراف: ٤٦).

(٢) (الحديد:١٣).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن(١/٢٦٩).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/١٨٧-١٩٧).

(٥) ينظر بصائر ذوي التمييز (١/٢٠٣-٢٠٤).

(٦) (الأعراف: ١٤٣).

(٧) (الأعراف:١٧٢).

الأعراف هي السورة السابعة في ترتيب المصحف بعد سورة الأنعام وقبل سورة الأنفال، وعدّآيها مائتان وست آيات في العدّ الكوفي والمكي والمدني، ومائتان وخمس آيات في العدّ البصري والشامي([1]).

المطلب الثاني: وقفة في فضلها:- لم يصح في فضل سورة الأعراف شيء على الخصوص، ولكن جاء في فضلها إجمالاً أنها من السبع التي أوتيها النبي (ﷺ)، مكان التوراة, ويدل لذلك ما أخرجه الإمام أحمد من حديث واثلة بن الأسقع قال: أن النبي (ﷺ)، قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني, وفضلت بالمفصل)([2]).

المطلب الثالث: وقفة في نزولها:-

أولاً: الزماني: نزلت بعد سورة ص وقبل سورة الجن، أخرج ذلكا بن الضريس بسنده عن ابن عباس([3])، وهي قبل سورة الجن، وسورة الجن نزلت في ذي القعدة سنة عشر من البعثة لما خرج النبي (ﷺ) إلى الطائف ثم رجع منها[4]، فيكون نزول سورة الأعراف – والله أعلم – قبل ذلك بقليل أي: في أواخر العهد الملكي، مابين العام العاشر والعام الثالث عشر من البعثة، فهي على هذا السورة الأربعون في ترتيب النزول.

---

(١) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن (١٥٥).

(٢) المسند (١٨٨/٢٨)، وقد حسنه محققوا المسند.

(٣) فضائل القرآن (٣٣-٣٥)، وسنده ضعيف جدا فيه عمر بن هارون متروك، كما في التقريب (٤١٧)، وفيه انقطاع أيضا إذ أن عطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس كما في العجاب في بيان الأسباب (٢٠٨/١-٢٠٩)، والفتح (٨٦٢/٨-٨٦٣)، وينظر تنزيل القرآن للزهري (٢٨)، والكشاف (٨٢/٢)، والبرهان (٢٨/١).

(٤) ذكر ذلك ابن حجر في الفتح (٨٦٧/٨).

ثانيا: المكاني: أطلق القول بمكيتها من غير استثناء ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر ابن زيد(١)، واستثني منها الآيات من قوله تعالى:**{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ}**(٢) إلى قوله تعالى:**{مِنْ ظُهُورِهِمْ}**(٣) الآية، فإن هذه الآيات مدنية في قول مقاتل وقتادة(٤).

المطلب الرابع: وقفة في أغراضها من أغراض السورة الكريمة:

افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن، والوعد بتيسيره على النبي (ﷺ).- نهت عن اتخاذ الشركاء من دون الله.- وفيها إنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة، ووصف لما حل بالمشركين قبلهم.- تذكير الناس بنعمة خلق الأرض.- تحذير الناس من التلبس ببقايا مكر الشيطان عن تسويلهم إياهم حرمان أنفسهم من الطيبات.- وصف أهوال يوم الجزاء للمجرمين وكراماته للمتقين.- التذكير بالبعث وتقريب دليله.- والنهي عن الفساد في الأرض التي أصلحها الله للإنسان.- أفاضت في أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين وما لاقوه من عنادهم وأذاهم.- وصف حال أهل الضلال، ووصف تكذيبهم بما جاء به الرسول (ﷺ)، ووصف آلهتهم بما ينافي الإلهية وأن لله الصفات الحسنى.- ثم أمر سبحانه رسوله (ﷺ) والمسلمين بسعة الصدر والمداومة على الدعوة وحذرهم من مداخل الشيطان بمراقبة الله وذكره سرا وجهرا والإقبال على عبادته(٥).

---

(١) ينظر المحرر الوجيز (٢/ ٣٧٢)، والبحر (٤/٢٦٦).

(٢) (الأعراف:١٦٣).

(٣) (الأعراف:١٧٢).

(٤) ينظر : تفسير البغوي (٣/٢١٣) ، والكشاف (٢/٨٢) ، والمحرر الوجيز (٢/٣٧٢) ، وزاد المسير (٣/١٢٦) ، والقرطبي (٧/٢٥٧) ، والبحر (٤/٢٦٦).

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/٢٠٤)، والتحرير والتنوير (٨/٨-٩).

المطلب الخامس: وقفة في مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:-

أولا: وجه مناسبتها لما قبلها:إن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وقال فيها تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**}([1])، وقال في بيان القرون: {**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ**}([2])، وأشير إلى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل، ذكرت هذه السورة عقبها؛ لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها.فبسط فيها قصة خلق ادم أبلغ بسط بحيث لم تبسط في سورة كما بسطت فيها، وذلك تفصيل إجمال قوله تعالى: {**خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**}، ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية إهلاكهم تفصيلا تاما شافيا مستوعبا، لم يقع نظيره في سورة غيرها، وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم، فكانت هذه السورة شرحا لتلك الآيات الثلاث.وأيضا فقد قال في الأنعام: {**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**}([3])، وهو موجز وبسطه هنا بقوله تعالى: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**}([4])، فبين من كتبها لهم. وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام فهو:أنه تقدم هنالك: {**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**}([5])، وقوله تعالى: {**وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ**}([6])، فافتتح هذه السورة أيضا بإتباع الكتاب في قوله: {**كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ**} إلى قوله: {**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**}([7]).

---

(١) (الأنعام: ٢).

(٢) (الأنعام:٦).

(٣) (الأنعام:١٢).

(٤) (الأعراف:١٥٦).

(٥) (الأنعام: ١٥٣).

(٦) (الأنعام: ١٥٥).

(٧) (الأعراف:٢-٣).

وأيضا لما تقدم في الأنعام: {ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(١)، وقوله: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(٢)،قال في مفتتح هذه السورة: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ}(٣)، وذلك شرح التنبئة المذكورة.

وأيضا لما قال في الأنعام: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}(٤)، وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح هذه السورة بذكر الوزن فقال: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ}(٥)، ثم ذكر من ثقلت موازينه وهو من زادت حسناته على سيئاته، ثم من خفت موازينه وهو من زادت سيئاته على حسناته، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف وهو قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم(٦).

ثانيا: وجه مناسبتها لما بعدها:

قال في سورة الأعراف: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}(٧)، وفي سورة الأنفال كثير من أفراد المأمور به.

وفي الأعراف ذكر قصص الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم، وفي الأنفال ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) وذكر ما جرى بينه وبين قومه، وقد فصل سبحانه في الأعراف في تلك القصص آل فرعون وإضرابهم وما حل بهم، وأجمل في الأنفال ذلك فقال سبحانه:

(١) (الأنعام:١٥٩).

(٢) (الأنعام:١٦٤).

(٣) (الأعراف: ٦-٧).

(٤) (الأنعام: ١٦٠).

(٥) (الأعراف:٨).

(٦) ينظر تناسق الدرر في تناسب السور (٨٧-٨٨).

(٧) (الأعراف:١٩٩).

{ **كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ**}(١)، وأشار في الأعراف إلى سوء زعم الكفرة في القران بقوله: {**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآَيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا**}(٢)، وصرح (ﷻ) بذلك في الأنفال بقوله جلّ وعلا: {**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}(٣)، وبين جلّ شأنه في الأعراف أن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأردف سبحانه وتعالى ذلك بالأمر والاستماع له والأمر بذكره تعالى، وفي الأنفال بين حال المؤمنين عند تلاوته وحالهم إذا ذكر الله تبارك اسمه بقوله (ﷻ): {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**}(٤)، إلى غير ذلك من المناسبات(٥).

---

(١) (الأنفال:٥٢).

(٢) (الأعراف:٢٠٣).

(٣) (الأنفال: ٣١).

(٤) (الأنفال:٢).

(٥) ينظر: روح المعاني (١٥٨/٩).

الفصل الأول

المبحث الأول

رحمة عامة للمؤمنين وغيرهم في الدنيا

قال تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}(١).

المطلب الأول: في مناسبة الحديث عن سعة رحمة الله تعالى في هذا المقام:-

الحديث عن سعة رحمة الله تعالى في هذه الآية جاء في معرض الجواب عن كلام موسى (عليه السلام)، فبعد أن تضرع موسى (عليه السلام) في الآية السابقة لهذه الآية إلى الله تعالى وتبتل إليه بالدعاء حيث قال (عليه السلام): رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم؟ ولو شئت أهلكتهم جميعاً من قبل هذا الحال وأنا معهم، فإن ذلك أخف علي، أتهلكنا بما فعله السفهاء ضعفاء العقول منا؟ ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم العجل إلا ابتلاء واختبار تضلّ بها من تشاء من خلقك، وتهدي بها من تشاء هدايته، أنت ولينا وناصرنا، فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا برحمتك، وأنت خير من صفح عن جرم وستر ذنب، واجعلنا ممن كتب لهم في هذه الدنيا حسنة من علم نافع ورزق واسع وعمل صالح، وفي الآخرة حسنة وهي ما أعدّ الله لأوليائه الصالحين من الثواب، فجاء الجواب في قوله تعالى: {**عَذَابِي..**} وهي استئناف بياني كأنه قيل: فماذا قال الله تعالى لموسى (عليه السلام) بعد دعائه، فجاء الجواب:{**عَذَابِي..**} الآية، لذلك فصلت الإجابة لوقوعها على طريقة المحاورة،وكلام موسى (عليه السلام) وإن كان طلباً لا يستدعي جواباً؛ إلا أن

---

(١) (الأعراف:١٥٦).

جواب الطالب عناية به وفضل، إذ استأنف سبحانه الإخبار عن الجواب عن كلامه على وجه منبه للجماهير على أن له سبحانه التصرف المطلق بقوله: {**عَذَابِي**} أصيب به من أشاء من خلقي كما أصبت هؤلاء الذين أصبت من قومك، ثم قال سبحانه: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**} مقابل قول موسى (عليه السلام) في الآية السابقة: {**فاغفر لنا وارحمنا**} وهو وعد تعريض بحصول الرحمة المسؤولة له ولمن معه من المختارين؛ لأنها لما وسعت كل شيء فهم أرجى الناس بها، وإن العاصين هم أيضا مغمورون بالرحمة كرحمة الإمهال والرزق، إذ الرحمة ذات مراتب متفاوتة[1].

المطلب الثاني: في معنى سعة رحمة الله [عز وجل]:-

أخرج عبد الرزاق(٢) والطبري(٣) بسند صحيح(٤) من طريق معمر عن الحسن وقتادة قالا في قوله: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**}: وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة.

وهذه الآية عظيمة الشمول والعموم، كقوله تعالى إخبارا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: {**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**}(٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٠/٤٧٨-٤٨٢)، والمحرر الوجيز (٢/٤٦٠-٤٦١)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٨١)، ونظم الدرر (٨/١٠٥)، والتحرير والتنوير (٨/١٢٩)، ومحاسن التأويل (٥/١٩٣).

(٢) تفسير عبدالرزاق (٢/٩٨).

(٣) جامع البيان (١٠/٤٨٦).

(٤) صحح هذا الطريق الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/٢٥٥)، وينظر التفسير الصحيح (١/٥٤-٥٥).

(٥) (غافر:٧).

فكل شيء وصله علمه وهو واصل لكل شيء، فإن رحمته وصلت إليه؛ لأن الله قرن الرحمة به، وهي الرحمة التي تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار، تلك الرحمة البدنية الدنيوية بالطعام والشراب واللباس والمسكن ونحو ذلك.

فرحمة الله تعالى الواسعة تسع كل شيء من العالم السفلي والعلوي والبر والفاجر والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت له رحمة الله وغمره فضله وإحسانه، وما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة الله آناء الليل وأطراف النهار، وما حصول المنافع والمحابِّ والخيرات إلا من آثار رحمته سبحانه التي وسعت كل أحد، كما أن صرف المكاره والنقم والمخاوف من آثار رحمته الواسعة لكل أحد جلّ وعلا.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة (ﭬ) قال: قام رسول الله (ﷺ) في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم النبي(ﷺ) قال: (لقد حجَّرت واسعا)، يريد رحمة الله([1]).

ومن حديث أبي سعيد الخدري (ﭬ) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لو تعلمون قدر رحمة الله لاتكلتم)أحسبه قال: عليها([2]).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة (ﭬ) قال: قال رسول الله (ﷺ): (إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة)([3]).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١٠/٨)، ح: (٦٠١٠).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/١٠): "رواه البزار وإسناده حسن".

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٩٩/٨)، ح: (٦٤٦٩)، ومسلم في الصحيح (٢١٠٩/٤)، ح: (٢٧٥٣)، واللفظ له.

فإذا كانت الرحمة التي قدّرها الله للحياة على ظهر هذه الأرض والكون في الحياة الدنيا تقدر بجزء واحد من مائة جزء ادخر الله تعالى منها تسعة وتسعين للآخرة، أدركنا عظم رحمة الله وسعتها.

هذه الرحمة العظيمة التي ظهرت في الخلق ظهورا عظيما لا ينكره أحد، رحمة ملأت أقطار السماوات والأرض، وكل الخلائق، حتى تحن المخلوقات على بعضها البعض بهذه الرحمة، وتحن البهائم التي لا ترجو نفعاً ولا عاقبة ولا جزاءً على أولادها، وشوهد من رأفتها بهم وشفقتها العظيمة ما يشهد بعناية باريها ورحمته الواسعة.

وأرحم ما يكون من الخلق بالخلق رحمة الأم بولدها، فهي رحمة لا يساويها شيء من رحمة الناس، والله (ﷻ) أرحم بعباده منها بولدها([1])، بل لو جمعت رحمات الراحمين كلهم فليست بشيء عند رحمة أرحم الراحمين.

ولعل من أنسب ما يختم به هذا المبحث كلام قيّم لابن القيم حيث قال:

"أوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه الذي وسع المخلوقات بصفة رحمته التي وسعت كل شيء، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتابا، فهو عند وضعه على عرشه أن رحمته سبقت غضبه، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم، والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة، فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب الذي لولاه لكان للخلق شأن آخر"([2]).

---

(١) وقد تقدم (ص ١٤) حديث عمر (رضي الله عنه) في ذلك.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٣٦٨-٣٦٩).

فوائد ولطائف:

الأولى: دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع، ولهذا السبب بدأ موسى بطلب دفع الضرر وهو قوله: {**فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا**}(١)، ثم أتبعه بطلب تحصيل النفع وهو قوله: {**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ**}(٢).

الثانية: في تنكير لفظ: {**حَسَنَةً**} ما يفيد العموم، فهي لفظ عام في كل ما يحسن في الدنيا من عافية وغنى وطاعة لله تعالى وغير ذلك، وحسنة الآخرة الجنة ورؤية الله تعالى لا حسنة دونها ولا مرمى وراءها(٣).

الثالثة: تدل الآية على حسن سؤال نعيم الدنيا كما يحسن سؤال نعيم الآخرة، وتدل على أن الواجب على الداعي أن يقرن بدعائه التوبة والإخلاص، لذلك قالوا: {**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**}(٤).

الرابعة: في هذا السؤال والجواب لمن تأمله عرف عظيم بيانه؛ لأنه (عليه السلام) سأل نعيم الدنيا والدين عقيب الرجفة، فكان من الجواب أن من العذاب ماهو خاص يصاب به من يستحقه، وأما النعيم فما كان من باب الدنيا فهو يسع كل شيء يصح عليه التنعم(٥).

الخامسة: قرأ الجمهور {**هُدْنَا**} بضم الهاء بمعنى تبنا، وقرئ شاذا (هِدنا) بمعنى: حركنا أنفسنا وجذبناها لطاعتك، وهو مأخوذ من هاد يهيد إذا حرّك.

---

(١) (الأعراف: ١٥٥).

(٢) ينظر مفاتح الغيب (٣٧٨/١٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٤٦٠/٢)، والبحر (١٩٠/٥).

(٤) ينظر محاسن التأويل (١٩٣/٥).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١٩٣/٥).

وفي قوله: {**إِنَّا هُدْنَا**} تعليل لطلب الغفران والحسنة، وتصديرها بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة في مضمونها([1]).

السادسة: قوله: {**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ**} إلى قوله: {كُلَّ شَيْءٍ} جواب إجمالي، وهو تمهيد للجواب التفصيلي بعده {**فَسَأَكْتُبُها**}([2]).

السابعة: في تقديم وصف العذاب دون وصف الرحمة ليفرغ ذهن موسى (عليه السلام) مما يخاف منه([3]).

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٤٦١)، والبحر (٥/١٩٠)، وروح المعاني (٥/٧٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٣٠).

(٣) ينظر: روح المعاني (٥/٧٤).

المبحث الثاني

رحمة خاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة

وفيه من الآيات: قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}(١).

وقوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}(٢).

وقوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُون *أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}(٣).

لما أعلم سبحانه أن رحمته واسعة وقدرته شاملة بقوله: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}، ذكر بعد ذلك شرط إتمام تلك الرحمة ترهيباً لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط، فبعد أن عمّ برحمته سبحانه كل شيء، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، خص سبحانه فقال: إن رحمته الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد، ولهذا قال: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} أي: الشرك والمعاصي صغارها وكبارها، {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}: زكاة النفوس وزكاة الأموال فالآية عامة لهما، {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي (ﷺ) ظاهراً وباطناً في أصول الدين وفروعه، فكلما كان العبد طائعاً لله ورسوله كانت رحمة الله أولى به، وكلما كان مؤتمراً بما أمر الله به ورسوله ومنتهياً عما نهاه الله عنه ورسوله كلما زاد نصيبه واستحقاقه

(١) (الأعراف:١٥٦).

(٢) (الأعراف:٥٦).

(٣) (الأعراف:٤٨-٤٩).

من هذه الرحمة الخاصة كما قال ربنا تبارك وتعالى: **{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}**، فرحمة الله الخاصة التي خصّ بها أوليائه أقرب ما تكون من المحسنين، والإحسان أعلى مراتب الدين،قال شيخ الإسلام: "الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله"(1).

ويشمل الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله، كما قال ابن سعدي: "الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وإحسان في حقوق الخلق وهو بذل المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق يكون"(2).

وقال شيخ الإسلام: "وأما الإحسان فهو أعمّ من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين"(3).

ورحمة الله الخاصة، التي يخص الله بها عباده المؤمنين، موجبها الإيمان بالله تعالى بغض النظر عن نصيب هذا المؤمن وحظه من الدنيا غنى أو فقرا، فهاهم أهل الأعراف(4) ينادون رجالا من المشركين يعرفونهم بعلاماتهم، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف، وأموال وأولاد، فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم منفردين في العذاب، بلا ناصر ولا مغيث: **{مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ}** في الدنيا، الذي تستدفعون به المكاره، وتتوسلون به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل،

---

(1) مجموع الفتاوى (٦٢٢/٧).

(2) بهجة قلوب الأبرار (١٤١-١٤٢).

(3المرجع السابق (١٠/٧).

(4) أهل الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى، يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم. ينظر: جامع البيان (٢٢١/١٠)، وتفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

ولا أغنى عنكم شيئا، وكذلك أي شيء نفعكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه؟

ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يستهزئ بهم أهل النار، فقالوا لأهل النار: {أَهَؤُلاءِ} الذين أدخلهم الله الجنة **{الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ}** احتقارا لهم وازدراء وإعجابا بأنفسكم، قد حنثتم في أيمانكم، وبدا لكم من الله ما لم يكن لكم في حساب، وتبددت أفكاركم التي تزعم أن من أغناه الله في الدنيا، وجعله قويا هو الذي له نعيم الآخرة.فهاهم هؤلاء الذين احتقرتم وازدريتم يرتعون في نعيم الجنة ويتمتعون بخيراتها شملتهم رحمة الله الأخروية فدخلوا جنته وتنعموا بنعيمها بسبب إيمانهم بربهم وإخلاصهم العبودية له سبحانه، والكفار يحترقون في سعير جهنم والعياذ بالله.

وما كان خلق الجنة إلا برحمته تعالى الخاصة بالمؤمنين، قال ابن القيم: "وكان عن صفة الرحمة الجنة وسكانها وأعمالها، فبرحمته خلقت، وبرحمته عمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها"([1]).

ورحمة الله الخاصة:

هي رحمة إيمانية دينية دنيوية وأخروية، وذلك بالتوفيق للطاعة والتيسير للخير والتثبيت على الإيمان والهداية إلى الصراط في الدنيا، ويوم القيامة يختص سبحانه بالرحمة والفضل المؤمنين ويكرمهم بالعفو والغفران ويدخله جنته، ويمنَّ عليهم في النعيم برؤيته، برحمة عظيمة لا يعبر بها لسان يمنّ بها أرحم الراحمين ويتفضل بها من وسعت رحمته كل شيء على عباده المؤمنين في الآخرة كما جاء من حديث سلمان (رضي الله عنه) قال-: قال (ﷺ): (خلق الله مائة رحمة فجعل منها رحمة بين الخلائق، كل رحمة أعظم مابين السماء والأرض، فيها تعطف الوالدة على

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣٦٩).

ولدها، وبها شرب الطير والوحش الماء، فإذا كان يوم القيامة قبضها الله من الخلائق فجعلها والتسع والتسعين للمتقين، فذلك قوله وتعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}**(١).

ورحمة الله الخاصة بالمؤمنين تدركهم بعد مماتهم بحفظهم في ذرياتهم، تكريما لهم كما قال تعالى في نبأ الخضر والجدار: **{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي}**(٢).

فوائد ولطائف:

الأولى: الضمير في **(فَسَأَكْتُبُهَا)** عائد للرحمة إذ هي أقرب مذكور (٣).

الثانية: لما كانت التكاليف ترجع إلى قسمين: تروك وأفعال، والأفعال قسمان: راجعة إلى المال وراجعة إلى النفس، وهذان القسمان علم وعمل، فالعلم المعرفة، والعمل إقرار باللسان وعمل بالأركان، فأشار بالاتقاء إلى التروك، وبالفعل الراجع إلى المال بالزكاة، وأشار إلى ما بقي بقوله: **{وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}**(٤).

الثالثة: التفريع في قوله: **(فَسَأَكْتُبُهَا)** تفريع على سعة الرحمة(٥).

الرابعة: الرحمة المعنية بقوله: **{فَسَأَكْتُبُهَا}** نوع عظيم من أنواع الرحمة، بقرينة الثناء على متعلقها بصفات تؤذن باستحقاقها، وبقرينة السكوت عن غيره، فيعلم أن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٠/٧)، والسند متصل ورجاله ثقات، وأخرجه البخاري ومسلم بنحوه وقد تقدم (ص ٢٦).

(٢) (الكهف:٨٢)، وينظر: تفسير السعدي: (٤٢٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١٩١/٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٠/٩).

لهذا المتعلق رحمة خاصة عظيمة، وأن غيره داخل في بعض مراتب عموم الرحمة المعلومة من قوله: **{وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**([1]).

الخامسة: السين في قوله: **{فَسَأَكْتُبُهَا}** يحتمل أن تكون للتأكيد، ويحتمل أن تكون للاستقبال([2]).

السادسة: التعريف في قوله: **{أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ}** للعهد، بقرينة تقدم ذكره، وبقرينة قوله هنا: **{رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ}**، كأنه قيل: ونادى أولئك الرجال الذين على الأعراف رجالاً.

والتعبير عنهم هنا بأصحاب الأعراف إظهار في مقام الإضمار، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ونادوا رجالاً، إلا أنه لما تعدد في الآية السابقة ما يصلح لعود الضمائر إليه، وقع الإظهار في مقام الإضمار دفعا للالتباس([3]).

السابعة: إن معايير التفاضل وموازين التقدم والتفوق في الآخرة تختلف عما هي عليه في الدنيا، فليس المال والقوة والتجمع أساس العزة والسعادة والنجاة في الآخرة، وإنما الأساس هو الإيمان والعمل الصالح، ففريق الزعماء المشركين الأشداء المتكبرين والأغنياء هم في النار، وفريق المؤمنين الأتقياء الضعاف المتواضعين لله هم في أعالي الجنان([4]).

الثامنة: قال ابن القيم: "ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى كان أكمل المؤمنين إيمانا أعظمهم رحمة، كما قال تعالى فى

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: روح المعاني (٧٥/٥)

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٤٤/٨).

(٤) ينظر: التفسير المنير (٢٢٠/٨).

أصحاب رسوله (ﷺ): {مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} (الفتح: ٢٩).[١]"

١إغاثة اللهفان (١٧٣/٢).

الفصل الثاني

أسباب نيل رحمة الله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

تنال بالإحسان

وفيه من الآيات قوله تعالى: {**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**}(١).

لما عدد سبحانه في الآية السابقة لهذه الآية من مظاهر عظمته وجلاله ما يدل ذوي الألباب على أنه وحده المعبود المقصود في الحوائج كلها، أمر (ﷺ) بما يترتب على ذلك فقال سبحانه: {**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا**} إلى أن قال سبحانه: {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} فأمر الله بدعائه متذللين له خفية وسرا، وليكن الدعاء بخشوع وبعد عن الرياء فالله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه وأعظم التجاوز الشرك بالله بدعاء غير الله من الأموات والأوثان وغير ذلك، ثم نهى سبحانه عن أي نوع من أنواع الإفساد في الأرض بعد إصلاح الله إياها ببعثه للرسل عليهم السلام وعمرانها بطاعة الله، وأمر بدعائه سبحانه مخلصين له الدعاء بأن ييسر لهم أسباب حصول ما يطمعون، وأن يجنبهم أسباب حصول ما يخافون وهذا يقتضي توجيه همتهم إلى اجتناب المنهيات لأجل خوفهم من العقاب وإلى امتثال المأمورات لأجل الطمع في الثواب، فلا جرم أنه اقتضى الأمر بالإحسان وهو أن يعبدوا الله عبادة من هو حاضر بين يديه فيستحي من أن يعصيه كما قال (ﷺ) عندما سأل جبريل (عليه السلام) ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله

---

(١) (الأعراف:٥٦).

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]، ليكون تقدير الجملة: وادعوه خوفا وطمعا وأحسنوا بقرينة تعقيبه بقوله: {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} وهذا إيجاز[2].

وقد قال مطر الوراق: "تنجزوا موعود الله بطاعته فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين"[3].

فقد جعل جل ثناؤه الإحسان في هذه الآية من أسباب نيل رحمته جل وعلا، وهو إحسان عام،والإحسان في كل عبادة: بذل الجهد فيها وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالمحسنين في عبادة ربهم المحسنين إلى عباد الله فكلما كان العبد أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريباً منه برحمته وهو أفضل عطاء أعطيه العبد قرب الله تبارك وتعالى منه الذي هو غاية الأماني ونهاية الآمال وقرة العيون وحياة القلوب وسعادة العبد كلها، وفي هذا من الحث والتحريض على الإحسان واستدعائه من النفوس وترغيبها فيه ما لا يخفى[4].

والإحسان سبب لنيل رحمة الله تعالى، وهى رحمة عاجلة وآجلة يسعد بها المحسنون في الدارين، فأما العاجلة فهي ما خص الله جل ثناؤه به عباده المحسنين في الدنيا من لطفه بهم وتوفيقه إياهم لطاعته،والإيمان به وبرسله واتباع أمره واجتناب معاصيه، ومحبة الخير والبر وذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته والفرح والسرور والأمن والعافية مما خذل عنه من أشرك به وكفر وخالف ما أمره به وركب معاصيه، وكان مع ذلك قد جعل جلّ ثناؤه ما أعد في آجل الآخرة في

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١٩/١)، ح: (٥٠)، ومسلم في الصحيح (٣٦/١)، ح: (٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٢٩/٣)، وتفسير ابن سعدي (٢٩١)، والتحرير والتنوير (١٧٦/٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عنه في تفسيره (١٥٠١/٥).

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (٣١/٣-٣٢)، وتفسير السعدي (٢٩١).

جناته من النعيم المقيم والفوز المبين لمن آمن به وصدق رسوله وأحسن في عبادة ربه دون من أشرك وكفر به، وهذا مما خص الله تعالى به المحسنين من رحمته في الدنيا والآخرة مع ما قد عمّهم به والكفار في الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم في الرزق وتسخير السحاب بالغيث، وإخراج النبات من الأرض، وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تحصى، والتي يشترك فيها المؤمنون والكافرون(1).

وهذه الرحمة التي تحصل للمحسنين تكون بحسب إحسانهم، فكلما كان نصيب الواحد من الإحسان أتمّ كان حظه من الرحمة أوفر.

وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة منهم لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه تعالى إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته، وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة، بعدا ببعد وقربا بقرب، فمن تقرب بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من ليس من المحسنين ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه ومن أبغضه فرحمته أبعد شيء منه(2).

فوائد ولطائف: الأولى: عطف النهي عن الفساد في الأرض على جملة: **{إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** عطفا على طريقة الاعتراض، وفيه تعريض بأن المعتدين وهم المشركون معتدون في الأرض، وإرباء للمسلمين عن مشابهتهم(3).

---

(1) ينظر: جامع البيان (١/١٢٦).

(2) ينظر: بدائع الفوائد (٣/١٧).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٨/١٧٦).

الثاني: النهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود يتعلق بجميع أنواعه من فساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين فهي ألفاظ عامة تتضمن كل إفساد قلَّ أو كثر بعد، أي إصلاح قلِّ أو كثر، وتخصيص شيء من ذلك دون شيء تحكم؛ إلا أن يقال على وجهة المثال(1).

الثالثة: البعدية في قوله: **{بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}** بعدية حقيقية؛ لأن الأرض خلقت من أول أمرها على صلاح، والتصريح بالبعدية هنا لتسجيل فظاعة الإفساد بأنه إفساد لما هو حسن ونافع، فلا معذرة لفاعله، ولا مساغ لفعله عند أهل الأرض(2).

الرابعة: الواو في قوله: **{وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا}** للتقسيم للدعاء بأنه يكون على نوعين(3).

الخامسة: لما كان الدعاء من الله بمكان كرره فقال تعالى أولا:**{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}**، ثم أتبعه بقوله سبحانه: **{وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا}** وفيه وجهان:

١- أن التضرع والخفية من الأوصاف الظاهرة لأن الاستكانة وإخفاء الصوت ليست من الأفعال القلبية، أي: وجلين ومشفقين وراجين ومؤملين، فبدأ أولا بأفعال الجوارح ثم ثانيا بأفعال القلوب(4).

٢- وقيل: إن الآية الأولى في بيان شرط صحة الدعاء وذلك بكون الدعاء مقروناً بالتضرع والإخبات، والآية الثانية في بيان فائدة الدعاء؛ إذ فائدته أحد الأمرين: (الخوف والرجاء)، ومعناه: كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٤١٠)، والبحر (٥/٧٠).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨/١٧٥).
(٣) ينظر: المرجع السابق (٨/١٧٦).
(٤) ينظر: البحر المحيط (٥/٧٠).

في أعمالكم كلها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء وإن اجتهدتم فيهما(١).

السادسة: لما كان قوله تعالى: {**وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً**} مشتملا على جميع مقامات الإيمان والإحسان وهي: الحب والخوف والرجاء، عقبها بقوله: {**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} أي إنما ينالها من دعاه خوفا وطمعا فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة(٢).

السابعة: قوله تعالى: {**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} فيه تنبيه ظاهر على أن فعل هذا المأمور به: هو الإحسان المطلوب منكم، ومطلوبكم أنتم من الله هو رحمته، ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه خوفا وطمعا، فقرب مطلوبكم منكم وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الإحسان، الذي هو في الحقيقة إحسان إلى أنفسكم فإن الله تعالى هو الغني الحميد وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم(٣).

الثامنة: قوله تعالى: {**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله، ودلالة بمفهومه، فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بتعليله وإيمائه على أن هذا القرب مستحق بالإحسان فهو السبب في قرب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بعد الرحمة من غير المحسنين فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة(٤).

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٤١٠)، ومحاسن التأويل (٥/١٠٥).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد (٣/١٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/١٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق.

التاسعة: انتصب {**خَوْفًا وَطَمَعًا**} على أنهما مصدران في موضع الحال، أو انتصاب المفعول لأجله، وعطف أحدهما على الآخر يقتضي أن يكون الرجاء والخوف متساويين ليكونا للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامة، فإذا انفرد أحدهما هلك الإنسان، وقد قال كثير من العلماء: ينبغي أن يغلب الخوف طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء(١).

العاشرة: في قوله تعالى: {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ**} ترجيح للطمع على الخوف؛ لأن المؤمن بين الرجاء والخوف، ولكنه إذا رأى سعة رحمة الله وسبقها غلب الرجاء عليه(٢).

الحادية عشرة: في قوله تعالى: {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} تنبيه على ما يتوصل به إلى الإجابة، وهو الإحسان في القول والعمل(٣).

الثانية عشرة: فيقوله تعالى: {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} في موقع تفريع على الجملة في قوله:{**وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا**}، فلذلك قرنت بـ (إِنَّ) الدالة على التوكيد، وهو لمجرد الاهتمام بالخبر(٤).

الثالث عشرة: وفي الإخبار عن الرحمة وهي مؤنثة بقوله: {**قَرِيبٌ**} وهو مذكر عدة أوجه أوصلها بعض العلماء إلى خمسة عشر وجهاً منها:

١- أن الرحمة والرحم واحد، وهي بمعنى العفو والغفران.

٢- على التشبيه بـ(فعيل) الذي هو بمعنى مفعول.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤١٠/٢)، والبحر (٧٠/٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤١٠/٢)، ومحاسن التأويل (١٠٥/٥).

(٣) ينظر: محاسن التأويل (١٠٥/٥).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٧٦/٨).

٣- أن {قَرِيبٌ}في الآية من باب تأويل المؤنث بمذكر موافق له في المعنى، فتؤول الرحمة وهي مؤنثة بالإحسان فيذكّر خبرها.

٤- أن {قَرِيبٌ} من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: إن مكان الرحمة قريب من المحسنين.

٥- أنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، كأنه قال:إن رحمة الله شيء قريب من المحسنين.

٦- أن هذا من باب اكتساب المضاف حكم المضاف إليه إذا كان صالحاً للحذف والاستغناء عن الثاني، وقال ابن القيم عن هذا الوجه: إنه ليس بقوي.

٧- أنه لما كان تأنيث الرحمة غير حقيقي ساغ فيه حذف التاء كما تقول: طلع الشمس وطلعت، وقال عنه ابن القيم: إنه فاسد.

٨- أن القريب يراد به شيئان، أحدهما: النسب والقرابة، فهذا بالتاء تقول: فلانة قريبة لي، والثاني: قرب المكان وهذا بلا تاء تقول: جلست فلانة قريباً مني، وهذا مسلك الفراء ويدل له قول الشاعر:

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ(١)

فجمع بين الوجهين(٢).

٩- أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الأخر لكونه تبعا له ومعنى من معانيه فإذا ذكر أغنى عن ذكره؛ لأنه يفهم منه، فيكون الأصل في الآية: إن الله قريب من المحسنين، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين، فاستغنى

---

(١) البيت لعروة بن حزام العذري في ديوانه (٥)، وهو موجود في جامع البيان (٢٥١/١٠)، والبحر المحيط (٧١/٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣٨٠/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٥٧/٢)، وبدائع الفوائد (٢٤/٣)، ومحاسن التأويل (١٠٥/٥).

بخبر المحذوف عن خبر الموجود، وسوغ ذلك ظهور المعنى، ففي حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة وأن الله تعالى قريب من المحسنين، وذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته، ولو قال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم؛ لأن قربه تعالى أخص من قرب رحمته، والأعم لا يستلزم الأخص، بخلاف قربة فإنه لما كان أخص استلزم الأعم وهو قرب رحمته[1].

١ينظر: بدائع الفوائد (٣/٣٠-٣٣)، وقال ابن القيم عن هذا القول: وهذا المسلك مسلك حسن إذا كسي تعبيرا أحسن من هذا وهو مسلك لطيف المنزع دقيق على الأفهام وهو من أسرار القرآن، فلا تستهن بهذا المسلك فإن له شأنا وهو متضمن لسر بديع من أسرار الكتاب وما أظن صاحب هذا المسلك قصد هذا المعنى ولا ألمّ به وإنما أراد أن الإخبار عن أن قرب الله تعالى من المحسنين كاف عن الإخبار عن قرب رحمته منهم....إلى أن قال: وهو المختار وهو من أليق ما قيل فيها.

المبحث الثاني

تنال بالطاعة

وفيه من الآيات قوله تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(١).

وقوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}(٢).

وقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(٣).

إن من أسباب نيل رحمة الله تعالى طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وقد ذكر تعالى في سورة الأعراف عدداً من الطاعات تكون سبباً لنيل رحمة الله تعالى؛ إذ يقول تعالى إخباراً عن نوح (عليه السلام) أنه قال لقومه إنكاراً وتوبيخاً لهم: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، فإنهم أنكروا أن يكون الله بعثه نبياً، وقالوا له: {مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(٤)، وهذا يتضمن تعجبهم من إرسال الرسل من البشر، ويتضمن استبعادهم واستمحالهم ما أخبرهم به من خوف العذاب عليهم، فنوح (عليه السلام) ينكر عليهم فهذا مما لا يعجب منه إذ له تعالى التصرف التام بإرسال من يشاء لمن يشاء، وكيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها وهو أن جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة على يد رجل منكم من جملتكم تعرفون مولده ونشأته،

(١) (الأعراف:٦٣).

(٢) (الأعراف:١٥٦).

(٣) (الأعراف:٢٠٤).

(٤) (هود:٢٧).

أو من جنسكم؟! ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي، ولتتقوا الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية باتباع أوامره واجتناب نواهيه راجين بذلك أن ترحموا، أي:بسبب التقوى، فعلل المجيء بجميع هذه العلل المترتبة؛ لأن المترتب على السبب سبب،وهذا الترتيب في غاية الحسن؛ لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة(١). فجعل تقوى الله عز وجلفي ركوب ما نهاهم عن ركوبه، فيجتنبوا معاصيه، ويتقوه فيما أمرهم به من فرائضه، فيطيعوه بأدائها، سبباً لنيل رحمته تعالى، ثم عدد سبحانه بعض أنواع الطاعات التي تكون سبباً لنيل رحمته سبحانه فقال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}**، فبعد أن عمّ برحمته سبحانه كل شيء من العالم العلوي والسفلي،والبر والفاجر، والمؤمن والكافر،أخبر سبحانه أن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدارين ليست لكل أحد، بل للذين يتقون، والتقوى حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

وقد أخرج ابن جرير الطبري بسند ثابت(٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ﷺ) قال في قوله:**{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}**: يعني الشرك(٣).

وأخرج بسند صحيح(١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: **{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}**: معاصي الله(٢).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٦٢/١٠)، والمحرر الوجيز (٤١٦/٢)، وتفسير ابن كثير (٤٣٢/٣)، وتفسير ابن سعدي (٢٩٢).

(٢) طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صححها النحاس في الناسخ والمنسوخ (٧٥)، وجودها السيوطي في الإتقان (٢٣٧/٤)، وقد توسع د. حكمت بشير في مقدمة تفسيره الصحيح (٤٦/١-٤٩) في الكلام عليها ونجمع أقوال الأئمة فيه وتوصل إلى ثبوتها.

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٨٧/١٠).

ولفظ التقوى عام في اتقاء المعاصي صغارها وكبارها، ويدخل فيه اتقاء الشرك دخولاً أولياً،ثم خصّ بعض أنواع الطاعات بالذكر فقال سبحانه: **{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}** والظاهر من قوله: **{وَيُؤْتُونَ}**:أنها الزكاة المختصة بالمال،وخصّها بالذكر هنا تشريفاً لها وجعلها مثالاً لجميع الطاعات، وقد أخرج الطبري بسند ثابت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: **{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}** قال: يطيعون الله ورسوله.

قال الطبري: "فكأن ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال"(٣).

ثم رجع إلى العموم سبحانه فقال: **{وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}**، أي: يصدقون، ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها،والعمل بمقتضاها.

ثم ذكر (ﷻ) في هذه السورة المباركة نوعاً آخر من أنواع الطاعة هو سبب لنيل رحمة الله تعالى فقال سبحانه: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآَنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، فبعد أن ذكر سبحانه أن القرآن:**{هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**(٤) أرشد إلى طريقة الفوز بما انطوى عليه من منافعه الجليلة، فقال: إذا قرئ القرآن الذي ذكرت خصائصه فاستمعوا له، أي: أصغوا إليه بأسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه،وأنصتوا لقراءته، والإنصات: الاستماع

(١) طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة صححها الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٤٤٩)، وقد توسع د.حكمت بشير في الكلام على هذا الإسناد في مقدمة تفسيره الصحيح (١/٥٠-٥٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٠/٤٨٧).

(٣) جامع البيان (١٠/٤٨٧).

(٤) (الأعراف: ٢٠٣).

مع ترك الكلام، أو الاشتغال بما يشغل عن سماعه حتى تنقضي(1) إعظاماً له واحتراماً، لكي يكون ذلك سبباً للفوز بالرحمة التي هي أعظم ثمراته،والتي يختص بها هؤلاء المطيعين في العاجلة والآجلة، وهذا أمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإن من لازم على الاستماع والإنصات حين يتلى كتاب الله فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدلّ ذلك على أن من تلي عليه الكتاب فلم يستمع ولم ينصت أنه محروم الحظ من الرحمة،قد فاته خير كثير.

ومن أوكد ما يؤمر فيه بالاستماع والإنصات في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه،حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها(2).

فوائد ولطائف:

الأولى: في قوله تعالى: **{أَوَعَجِبْتُمْ}** هذه واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة, ولو أريد بها (أو) لسكنت(3).

الثانية: تنكير **{ذِكْرٌ}** و**{رَجُلٍ}** للنوعية؛ إذ لا لخصوصية لذكر دون ذكر, ولا لرجل دون رجل, فإن الناس سواء, والذكر سواء في قبوله لمن وفقه الله وردّه لمن حرم التوفيق(4).

الثالثة: في قوله تعالى: **{عَلَى رَجُلٍ}** قيل (على): بمعنى (مع)، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: على لسان رجل منكم,وقيل: يحتمل أن يكون المجيء

---

(1) ينظر: لسان العرب (٩٨/٢).

(2) ينظر: تفسير السعدي (٣١٤).

(3) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣٨٣/١)، وجامع البيان (٢٦٣/١٠)، ومعالم التنزيل (٢٤١/٣)، والمحرر الوجيز (٤١٦/٢).

(4) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٥/٨).

بنفسه في هذا الموضع يصل بـ (على)؛ إذ كل ما يأتي من الله فله حكم النُّزول فكأن {جَاءَكُمۡ} بمعنى (نزل)، فحسن معه أن يقال: {عَلَى رَجُلٍ}([1]).

الرابعـة: في قوله تعالى:عَلَى {رَجُلٍ مِنْكُمْ} (من) هنا تبعيضة أو بيانية, والمعنى: من جملتكم تعرفونه, أو: من جنسكم البشري, وفيه فضح لشبهتهم بل فيه رد لهذه الشبهة، وذلك بكون الْمُذَكِّر رجلاً منهم أقرب إلى التعقل من كون مذكِّرهم من جنس آخر, فكان هذا الكلام من جوامع الكلم في إبطال دعوى الخصم والاستدلال لصدق دعوى المجادل([2]).

الخامسـة: اللام في قوله تعالى: {لِيُنْذِرَكُمۡ} لام كي, إذ ذكر علة المجيء وهي الإنذار, ثم رتب عليها علة ثانية وهي التقوى المترتبة على العلة قبلها, ثم ذكر علة ثالثة بقوله تعالى: {وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} مرتبة على التي قبلها([3]).

السادسة: جيء بحرف الترجي في قوله تعالى: {وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} على عادة العظماء في وعدهم, أو للتنبيه على عزة المطلب وأن الرحمة منوطة بفضل الله، وأنه ينبغي على المتقي أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله([4]).

السابعة: الرحمة لا تنال بمجرد الإيمان الذي هو التصديق حتى ينضم إليها الطاعات، فيبطل قول المرجئة([5]).

الثامنـة: ذكر اسم القرآن إظهار في مقام الإضمار؛ لأن القرآن تقدم ذكره بواسطة اسم الإشارة, فنكتة هذا الإظهار: التنويه بهذا الأمر, وجعل جملته بالدلالة

---

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٤٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣٨٣/١)، والمحرر الوجيز (٤١٦/٢)، والبحر المحيط (٨٤/٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٦/٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨٤/٥).

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي (١٨/٣).

(٥) ينظر: محاسن التأويل (١٩٣/٥).

غير متوقفة على غيرها, وهذا من وجوه الاهتمام بالكلام, وفيه من الدلالة على تعظيم شأن القرآن مالا يخفى([1]).

التاسعة: الخطاب في قوله تعالى: **{فَاسْتَمِعُوا لَهُ}** شامل للكفار على وجه التبليغ, وللمسلمين على وجه الإرشاد؛ لأنهم أرجى للانتفاع بهديه؛ ولأن قبله قوله: **{وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون}**, ولا شبهة في أن هذه الآية نزلت في جملة الآيات التي قبلها وعلى مناسبتها، سواء أريد بضمير الخطاب المشركون والمسلمون معاً, أم أريد المشركون للاهتداء والمسلمون بالأحرى لزيادته([2]).

العاشرة: اللام في قوله: **{لَهُ}** يجوز أن تكون أجلية, وأن تكون بمعنى (إلى), وأن تكون صلة بمعنى: فاستمعوه, والعطف للاهتمام بأمر القرآن([3]).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣٩/٩)، وروح المعاني (١٤٣/٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣٩/٩).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٤٠/٥).

المبحث الثالث

التعبد لله تعالى بسؤاله سبحانه الرحمة

وفيه من الآيات قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(١).

وقوله تعالى: {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٢).

وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}(٣).

وقوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}(٤).

إن التعبد لله تعالى بدعائه سبحانه هو من أجلّ المقاصد وأنفع الأعمال المقرّبة إلى الله تعالى, وقد أمر الله به, ورغب فيه, ومدح أهله وأثنى عليهم أحسن الثناء, وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أمثلة من دعوات الأنبياء والمرسلين، ومناجاتهم لربهم وتوسلهم إليه وإنكارهم بين يديه وذلهم وخضوعهم ورغبهم ورهبهم وكمال أدبهم في مناجاتهم لربهم ودعائهم, وذلك ليتعلم عباد الله المؤمنون النهج السديد والطريق الرشيد في دعاء الرب ومناجاته, ومن هذه الدعوات العظيمة دعاء

(١) (الأعراف:٢٣).
(٢) (الأعراف:١٤٩).
(٣) (الأعراف:١٥١).
(٤) (الأعراف:١٥٥).

أبي البشر آدم (عليه السلام) والمشتملة على توبته إلى الله وطلب مغفرته ورحمته وإقالة عثرته حيث كان قد ارتكب ما نهاه الله عنه ووقع فيما منعه منه, فبعد أن أسكن الله آدم وزوجه الجنة أمره تعالى وزوجه أن يأكلا من الجنة حيث شاءا, إلا أنه عيّن لهما شجرة ونهاهما عن أكلها فلم يزالا ممتثلين لأمره الله, حتى تغلغل إليهما إبليس فوسوس لهما وقال: **{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}**(1) فاستجابا له: **{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا}**(2) فهذه خطيئة آدم وذنبه الذي اقترفه ولكنه سرعان ما أناب ورجع قال تعالى عنه: **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** أي: قد فعلنا الذنب الذي نهينا عنه, وضررنا أنفسنا باقترافه, ووقعنا في سبب الخسران إن لم تغفر لنا بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة من أمثال هذه الخطايا(3), فغفر الله لهما ذلك كما أخبر سبحانه: **{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}**(4), قال ابن جرير: "هذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم من قيله الذي لقاه الله إياه,... له تائب إليه من خطيئته تعريف منه جلّ ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة من الذنوب, وأن خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته"(5).

وبما أن الخطأ واقع من بني آدم لا محالة،وكل بني آدم خطاء، ولكن كم هو عظيم من الإنسان أن يبادر إلى الخلاص من مغبة الإثم وأن يسارع إلى الفكاك من عاقبه الخطأ مشتبهاً بأبيه آدم (عليه السلام)، وهذا ما فعله الأنبياء من بعده –عليهم

(1) (الأعراف: ٢٠).

(2) (الأعراف: ٢٢).

(3) ينظر: تفسير السعدي (٢٨٥).

(4) (طه: ١٢١-١٢٢).

(5) جامع البيان: (١/٥٨٦).

صلوات الله وسلامه – فرغم كمال تعبدهم وتمام تذللهم وخضوعهم واستكانتهم لله رب العالمين، فكانوا في الخير قادة وللمهتدين من عباد الله قدوة وسادة،ومع هذا التمام والكمال فقد كانوا ملازمين للتوبة والاستغفار، كما قال تعالى عن موسى (عليه السلام) من استغفاره لنفسه ولأخيه هارون وسؤاله سبحانه المغفرة والرحمة بعد أن ندم موسى (عليه السلام) على ما استعجل من صنعه بأخيه، قبل أن يعلم براءته مما ظنه فيه من التقصير، فقال ملتجئاً إلى الله سبحانه: **{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** فهو يسأل الله تعالى المغفرة له ولأخيه هارون، ويسأله أن يدخله في وسط رحمته ويجعل الرحمة تحيط بهما من كل جانب؛ إذ هي حصن حصين من جميع الشرور، وسبب كل خير وسرور فالله سبحانه أرحم بهما من كل راحم، أرحم بهما من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم أنفسهما[1]، وكان دأبه (عليه السلام) الاستغفار وسؤال الله الرحمة، فها هو (عليه السلام) يستغفر ويدعو لنفسه وقومه، فبعد أن تاب بنو إسرائيل وتراجعوا إلى رشدهم اختيار موسى منهم سبعين رجلاً من خيارهم ليعتذروا لقومهم عند ربهم، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه فلما حضروه قالوا يا موسى أرنا الله جهرة، فتجرؤوا على جرأة كبيرة، وأساءوا الأدب معه، فـ(أخذتهم الرجفة) فصعقوا وهلكوا، فلم يزل موسى (عليه السلام) يتضرع إلى الله ويتبتل فقال:**{قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}**، قاله (عليه السلام) تحسرا وتلهفا والمعنى: لو شئت إهلاكنا لأهلكتنا بذنوبنا قبل هذا الوقت اعترافا منه (عليه السلام) بالذنب وتلهفا على ما فرط من قومه، فما الفتنة التي وقع فيها هؤلاء السفهاء إلا فتنتك التي تختبر بها من شئت وتمتحن بها من أردت، ثم رجع (عليه السلام) إلى الاستعطاف فقال: **{أَنْتَ وَلِيُّنَا}**: متولي

(١) ينظر: تفسير السعدي (٣٠٣).

أمورنا فاغفر لنا ما أذنبناه وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء وأنت خير الغافرين للذنوب(1).

والله تعالى قد قصّ علينا قصص توبة الأنبياء والتجائهم إلى الله تعالى بالدعاء لنقتدي بهم ولنتأسى بهم (عليهم السلام) وكان هذا التأسي والاقتداء ديدن المؤمنين في كل زمان ومكان، ومن هؤلاء المؤمنون التائبون من بني إسرائيل مما وقعوا فيه من الشرك بالله حين اتخذوا عجلا جسدا له خوار وعبدوه من دون الله، فلما رجع إليهم موسى (عليه السلام) ووجدهم على هذه الحالة من عبادة العجل وأخبرهم بضلالهم ندموا على فعلهم وتضرعوا إلى الله بهذا الدعاء العظيم، قال الله تعالى عنهم: **{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** قالوا هذا الدعاء تائبين إلى الله تعالى منيبين إليه فكان ذلك اعترافا منهم بذنوبهم والتجاء إلى ربهم بأن يرحمهم ويغفر لهم وإلا كانوا من الهالكين، وهكذا حال كل مذنب؛ فإنه لولا رحمة الله تعالى ومغفرته له لكان من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

فوائد ولطائف:

الأولى: في قوله تعالى: **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا}** جملة استئنافية مبنية على تقدير سؤال، كأنه قيل: فماذا قالا؟ وهو نداء مضاف، والأصل:(يا ربنا) وفي حذف (يا) معنى التعظيم(2).

الثانية: قوله تعالى: **{وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا}** شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه، والمعنى: ولئن لم تغفر لنا.(3)

---

(1) ينظر: فتح القدير (٢/٢٨٦).

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٨)، وفتح القدير (٢/٢٢٣)،.

(3) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/٤٩).

الثالثـة: قولـه تعـالى: {**لَنَكُـونَنَّ مِـنَ الْخَاسِـرِينَ**} جواب قسم مقدر دل علـى جـواب الشـرط السـابق، وأكـدّ الجملـة بـلام القسـم ونـون التوكيـد إظهـاراً لتحقيـق الخسران استرحاماً واستغفاراً من الله تعالى(١).

الرابعـة: ذكـر القاسـمي لطيفـة فـي الآيـة عـن بعـض أهـل العلـم: يقـال إن ادم (عليه السلام) سـعد بخمسـة أشـياء: اعتـراف الـذنب، ونـدم عليـه، ولام نفسـه، وسـارع إلـى التوبة، ولم يقنط من الرحمة.

وشـقي إبلـيس بخمسـة أشـياء: لـم يقـر بالـذنب،ولم ينـدم، ولـم يلـم نفسـه، بـل أضاف إلى ربه، فلم يتب، وقنط من الرحمة(٢).

الخامسة: في قوله تعالى: {**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**} هذا بعد رجوع موسى (عليه السلام) وإنما قدمه على قولـه: {**وَلَمَّـا رَجَـعَ مُوسَـى**} ليتصـل مـا قـالوه بمـا فعلـوه فيحكـي مـا صـدر منهم من القول والفعل في موضـع واحد، وقـال ابن عاشور: "كان مقتضـى الظـاهر فـي ترتيـب حكايـة الحـوادث أن يتـأخر قولـه: {**وَلَمَّـا سُـقِطَ فِـي أَيْـدِيهِمْ**} عن قوله: {**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى**}؛ لأنهم ما سقط في أيديهم إلا بعد أن رجع موسى، وإنما خولف مقتضى الترتيب تعجيلا بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة وتبين الضـلالة موعظة للسامعين لكيلا يعجلوا في التحول من سنتهم حتى يتبينوا عواقب ما هم متحولون إليه"(٣).

السابعة: في قوله تعالى: {**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**} لما كان ذكر فاعل السقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقاً من فعله ساغ أن يبنى فعله للمجهول فمعنى: **(سقط فـي يـده):** سقط فـي يـده سـاقط فأبطـل حركـة يـده, والجـار والمجـرور {**فِـي أَيْدِيهِمْ**} قائم مقام الفاعل, وذكر الأيدي هنا لوجهين:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٨/٦٧).

(٢) محاسن التأويل (٥/٢٦).

(٣) التحرير والتنوير (٨/١١١).

أحدهما: أن يقال للذي يحصل وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد, قد حصل في يده مكروه فشبه ما يحصل في النفس وفي القلب ما يرى بالعين, وخصت اليد بالذكر لأن مباشرة الذنوب بها, فالملامة ترجع عليها؛ لأنها هي الجارحة العظمى فيسند إليها ما لم تباشره.

ثانيها: أن الندم حصل في القلب وأثره يظهر في اليد؛ لأن النادم يعض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى كقوله: **{فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ}**([1]) فتقليب الكف عبارة عن الندم, ولما كان أثر الندم يحصل في اليد أضيف سقوط الندم إلى اليد؛ لأن الذي يظهر للعيون من فعل النادم هو تقليب الكف وعض الأنامل واليد([2]).

الثامنة: في قوله تعالى: **{وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا}** معطوف على **{سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ}**، والمعنى: تبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم([3]).

التاسعة: في قوله تعالى: **{لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا}** شرط وفيه معنى القسم, فقد قالوا ذلك توبة وإنابة, وقد علموا أنهم أخطأوا خطيئة عظيمة, ولذلك أعدّوا التعليق الشرطي بالقسم الذي وطأته اللام([4]).

العاشرة: في قولهم: **{لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا}** إقرار بالعبودية والاستغفار, وفي قولهم: **{رَبُّنَا}** استعطاف حسن؛ إذ الربّ هو المالك الناظر في أمر عبيده، والمصلح منهم ما فسد([5]).

الحادية عشرة: في تقديم الرحمة على المغفرة، مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية، في قوله: **{لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا}** أقوال:

أولها: قدم الرحمة على المغفرة لأنها سببها.

---

(١) (الكهف:٤٢).

(٢) ينظر: محاسن التأويل (١٨٥/٥-١٨٦)، والتحرير والتنوير (١١٢/٨).

(٣) ينظر: الكشاف (١٥٤/٢)، وروح المعاني (٦٢/٥).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٧٢/١)، والتحرير والتنوير (١١٣/٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (١٨٠/٥).

الثاني: المسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي.

الثالث: أنه لما كان هذا الذنب وهو اتخاذ غير الله إلهاً أعظم الذنوب، بدأوا بالرحمة التي وسعت كل شيء, ومن نتاجها غفران الذنب, وأما في قصة آدم قالا: **{وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا}** فإنه جرت محاورة بينه تعالى وبينهما, وعتاب على ما صدر منهما من أكل ثمر الشجرة بعد نهيه إياهما عن قربانها فضلاً عن أكل ثمرها, فبادرا إلى الغفران واتبعاه بالرحمة؛ إذ غفران ما وقع عليه العتاب آكد ما يطلب أولاً([1]).

الثانية عشرة: في قوله تعالى: **{لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا}** قراءتان متواترتان:

الأولى: قراءة حمزة والكسائي:**{لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا}** بتاء الخطاب في الفعلين، ونصب (ب) ربنا على النداء، وفي هذه القراءة معنى: الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء.

الثانية: قرأ الباقون بياء الغيبة في الفعلين، ورفع (ب) ربنا، وذلك حكاية لإخبارهم فيما بينهم، أي: قال بعضهم لبعض ذلك، ورفع الباء بالفاعلية([2]).

الثالث عشرة: فيقوله: **{لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** جواب القسم، ومجيء خبر كان مقترناً بـ(من) التبعيضية؛ لأن ذلك أقوى في إثبات الخسارة من (لنكونن خاسرين)([3]).

الرابع عشرة: في قوله تعالى: **{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي}** كلام مستأنف جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال موسى بعد كلام هارون؟ وذكر وصف

---

(١) ينظر: البحر المحيط (١٨٠/٥)، وروح المعاني (٦٢/٥)، والتحرير والتنوير (١١٣/٨).

(٢) ينظر: التيسير (١١٣)، ومعاني القراءات (٤٢٤/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١١٣/٨).

الأخوة هنا زيادة في الاستعطاف عسى الله أن يكرم رسوله بالمغفرة لأخيه، وقد طلب المغفرة له أولاً ولأخيه ثانياً، ليزيل عن أخيه ما خاف من الشماتة فكأنه تذمم مما فعله بأخيه، وأظهر أنه لا وجه له، وطلب المغفرة من الله مما فرط منه في جانبه، ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم وتغيير ما وقع منهم، وأعاد حرف الجر في قوله: {**وَلِأَخِي**} لأن المضمر المخفوض لا يعطف عليه إلا هكذا(1).

الخامس عشرة: قوله تعالى في الآية: {**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**} الاستفهام للجحد، أي: لست ممن يفعل ذلك، قاله ثقة منه برحمته الله، والمقصود منه الاستعطاف والتضرع. وقيل: معناه الدعاء والطلب، أي: لا تهلكنا، وقال المبرد: المراد بالاستفهام استفهام الإعظام، كأنه يقول: وقد علم موسى أنه لا يهلك أحد بذنب غيره ولكنه كقول عيسى (عليه السلام): {**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ**} والجملة مستأنفة على طريقة تقطيع الكلام الحزين الخائف السائل(2).

السادس عشرة: قوله: {**إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ**} استئناف مقرر لما قبله، واعتذار عما وقع منهم، و(إِنْ) نافية، وهي للفتنة المعلومة للسياق، والمعنى: ما الفتنة إلا فتنتك(3).

السابع عشرة: قال الفخر الرازي في قوله تعالى: {**أَنْتَ وَلِيُّنَا**}: "واعلم أن كونه تعالى ولياً للعبد يناسب أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع؛ ليظهر آثار كرمه وفضله وآلهيته، وأيضاً اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٧٣/٢)، وفتح القدير (٢٨٤/٢).

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٧٤/٢)، وفتح القدير (٢٨٦/٢)، والتحرير والتنوير (١٢٦/٨).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (١٢٦/٨).

طلب هذه الأشياء، فذكر السبب أولا: وهو كونه تعالى وليا له، وفرع عليه طلب هذه الأشياء، ثم ذكر بعدها لسبب الثاني، وهو اشتغال العبد بالتوبة والخضوع فقال: {**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**}، وإنما ذكر هذا السبب أيضا؛ لأن السبب الذي يقتضي حسن طلب هذه الأشياء ليس إلا من مجموع هذين الأمرين: كونه إلهاً ورباً ووليا، وكوننا عبيداً له تائبين خاضعين خاشعين، فالأول: عهد عزة الربوبية، والثاني: عهد ذلة العبودية فإذا حصل واجتمعا فلا سبب أقوى منها"(1).

1مفاتح الغيب (٣٧٩/١٥).

الفصل الثالث

آثار رحمة اللّه تعالى

إن آثار رحمة الملك الرحمن الرحيم بادية في كل شيء، ظاهرة للعيان، وللعلامة ابن القيم كلام نفيس حول آثار رحمة الله تعالى يقول فيه: "إن ظهور هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، فبرحمته أرسل إلينا رسوله (ﷺ)، وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصّرنا من العمى وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا بها أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علّمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض، وجعلها مهادا وفراشا وقرارا وكفاتا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى، ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدّر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان.

فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته، وبصّرهم ومكّن لهم أسباب مصالحهم برحمته،....،وبرحمته احتجب عن خلقه بالنور، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ومن رحمته أنه يعيذ من سخطه برضاه، ومن عقوبته بعفوه، ومن نفسه بنفسه، ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه، وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل، وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه، ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو

أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم وانحل نظامها، وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والراعي والمرعيّ، ثم أفقر الجميع إليه، ثم عمّ الجميع برحمته.

...وتأمل قوله تعالى: { **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**} (الرحمن: ١ – ٤)، كيف جعل الخلق والتعليم ناشئا عن صفة الرحمة متعلقا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم وختمها بقوله: {**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**} (الرحمن: ٧٨)، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة، إذ مجيء البركة منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذكر عليه بورك فيه وكل ما خلي منه نزعت منه البركة"([1]).

وقال سيد قطب: "رحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العدّ ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه، وتكريمه بما كرمه وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير...ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال،وحيثما كان، وكيفما كان"([2]).

وفي هذا الفصل **خمسة مباحث:**

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣٦٨-٣٧٠).

(٢) ظلال القرآن (٥/٢٩٢١-٢٩٢٣)، وقد ذكر كلاما جميلا طويلا في هذا الباب يحسن الرجوع إليه.

المبحث الأول

إرسال الرسل

وفيه من الآيات قوله تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(١).

أنبياء الله ورسله هم الرحمة المهداة المرسلة من الله تعالى إلى خلقه، رحمة منه بهم، قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس يعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفا وإحسانا إليكم"(٢). فإرسال الرسل للناس من عناية الله بهم وبرّه وإحسانه إليهم بالتعليم والهداية، وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، وهذا من أعظم مِنَنِه على عباده، والتي ينبغي أنتتلقى بالقبول والشكر، فمن قبِل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعِد في الدنيا والآخرة، ومن ردَّها وجحدها، خسِر في الدنيا والآخرة.

ولشيخ الإسلام (~) كلام نفيس في بيان رحمة الله (ﷻ) للبشرية بإرسال الرسل حيث يقول: "وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشدّ حاجة من كلّ ما يقدّر ويخطر بالبال..فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده.. في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرّهم، وتكميل ما يُصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه، وعلى الأصول التي بعثوا بها مدار الخلق

---

(١) (الأعراف:٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٢/٣).

والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإنّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يُدرك وجه الضرورة إليها، من حيث الجملة، كالمريض الذي يُدرك وجه الحاجة إلى الطبّ ومن يُداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه.وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبّ؛ فإنّ آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا تُرجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً. فلا فلاح إلا باتباع الرسول"([1]).

وإذا أراد الله (ﷻ) رحمة قوم جعل وفاة نبيهم قبل هلاكهم، فقد قال- (ﷺ) (إن الله (ﷻ) إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها. فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها. وإذا أراد هلكة أمة، عذبها، ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقرّ عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره)([2]).

١مجموع الفتاوى (١٩/٩٥-٩٦، ١٠١)، ولابن القيم في زاد المعاد (١/٦٨-٦٩) كلام نفيس في هذا الباب أيضا.

٢أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٧٩١)، ح: (٢٢٨٨).

المبحث الثاني

إنزال الكتب

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**(١).

وقوله تعالى: **{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}**(٢).

وقوله تعالى: **{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**(٣).

إن من أعظم آثار رحمة الله تعالى على العباد إنزال الكتب السماوية لهم هداية وتعليمًا، وشفاء ورحمة، يقول ربنا جلّ وعلا عن هذا القرآن العظيم: **{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ}** أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق {عَلَى عِلْمٍ} من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور، فتجهله بعض الأحوال، فيحكم حكما غير مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء.

{هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، وبيان الحق والباطل، والغيّ والرشد، ويحصل أيضا لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء.

وهذا حال كل الكتب السماوية كتب رحمة وهداية لمن آمن بها واتبعها، فهاهي السورة المباركة تحدثنا عن ألواح موسى (عليه السلام) **{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى**

---

(١) (الأعراف:٥٢).

(٢) (الأعراف:١٥٤).

(٣) (الأعراف:٢٠٣).

الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، فـ {**أَخَذَ الألْوَاحَ**} التي ألقاها، وهي ألواح عظيمة المقدار، جليلة {**وَفِي نُسْخَتِهَا**} أي: مشتملة ومتضمنة {**هُدًى وَرَحْمَةٌ**} أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدي لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين {**لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**} أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتوا ونفورا وتقوم عليه حجة الله فيها.

ثم تعود السورة المباركة للتأكيد على أن هذا القرآن العظيم هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبينات حيث يقول تعالى: {**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} أي: لا يزال هؤلاء المكذبون لك في تعنت وعناد، ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جئتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا. {**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ**} من آيات الاقتراح التي يعينونها {**قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا**} أي: هلا اخترت الآية، فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات، المدبر لجميع المخلوقات، ولم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء،

{**قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي**} فأنا عبد متبع مدبَّر، والله تعالى هو الذي ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده، وطلبتْه حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآنات، فـ {**هَذَا**} القرآن العظيم، والذكر الحكيم {**بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ**} يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره،

علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فالمؤمنون، فهو {**هُدًى**} لهم من الضلال والغي والشُّبه {**وَرَحْمَةً**} تثلج له صدورهم، وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية المصدقين له، المتلقِّين له بالقَبول، المقبِلين على تدبُّره، المتفكِّرين في معانيه؛ فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم، والرحمة المتضمنة للسعادة، والفوز والفلاح([1]).

وفي مجمل هذه الآيات العظيمات دلالة على أن ربنا الرحمن أراد أن يرحمنا ويهدينا ويعلمنا، فأنزل الكتب السماوية على رسله- عليهم السلام- وظهرت في هذه الكتب المنزلة آثار رحمته في أمره وشرعه ظهورا تشهده البصائر والأبصار ويعترف به أولوا الألباب، فشرعه رحمة وهداية، وهو موصل لرحمة وكرامة، وختم الكتب السماوية بالقرآن العظيم الذي شرع فيه من التسهيلات ونفي الحرج والمشقات ما يدل على سعة رحمته جلّ جلاله، كما أن مناهيه كلها رحمة لأنها لحفظ دين العباد وحفظ عقولهم وأعراضهم وأبدانهم وأخلاقهم وأموالهم من الشرور والأضرار، فكل النواهي تعود إلى هذه الأمور، وأيضا الأوامر سهلها وأعان عليها بأسباب شرعية، وأسباب قدرية، وذلك من تمام رحمته، كما أن النواهي جعل عليها من العوائق والموانع ما يحجز العباد عن مواقعتها إلا من أبى وشرد، وشرع أيضا من الرواد ع والزواجر والحدود ما يمنع العباد ويحجزهم عنها، ويقلل من الشرور شيئا كثيرا.

وبالجملة فشرعه وأمره نزل بالرحمة، واشتمل على الرحمة، وأوصل إلى الرحمة الأبدية والسعادة السرمدية([2]).

المبحث الثالث

إنزال المطر

(١) ينظر: تفسير السعدي (٢٩١، ٣٠٣، ٣١٣، ٦٠٩).

(٢) ينظر: فتح الرحيم الملك العلام (٣٤-٣٥).

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(1)

يبين تعالى أثرا من آثار قدرته، ونفحة من نفحات رحمته العظيمة بخلقه فيقول: **{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}** أي: الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن الله من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة الله، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله، **{حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ}** الرياح **{سَحَابًا ثِقَالا}** قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى، وألحقه ريح أخرى **{سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ}** قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن ييأسوا من رحمة الله، **{فَأَنزلْنَا بِهِ}** أي: بذلك البلد الميت **{الْمَاء}** الغزير من ذلك السحاب وسخر الله له ريحا تدره وتفرقه بإذن الله، **{فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** فأصبحوا مستبشرين برحمة الله، راتعين بخير الله، وقوله: **{كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** أي: كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك نخرج الموتى من قبورهم، بعد ما كانوا رفاتا متمزقين، وهذا استدلال واضح، فإنه لا فرق بين الأمرين، فمنكر البعث استبعادا له – مع أنه يرى ما هو نظيره – من باب العناد، وإنكار المحسوسات، وفي هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال(2).

(1) (الأعراف:٥٧).

(2) ينظر: تفسير السعدي (٢٩٢).

المبحث الرابع

رفع البلاء

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ}**([1])

ومن آثار رحمة الله (ﷻ) رفع البلاء عن عباده المؤمنين، فهاهي آيات السورة المباركة تحكي لنا تلكم المحاورات والسجالات التي جرت بين هود (عليه السلام) وقومه عاد، والتي انتهت بتكذيبهم له وإصرارهم على الكفر والجحود، فقال لهم (ﷺ) **{فَانْتَظِرُوا}** ما يقع بكم من العقاب،الذي وعدتكم به **{إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ}** وفرق بين الانتظارين، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من الله النصر والثواب، ولم يطل الانتظار حيث فتح الله بين الفريقين فقال تعالى: **{فَأَنْجَيْنَاهُ}** أي: هودا **{وَالَّذِينَ}** آمنوا، فهي معية الإيمان **{مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا}** فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته العظيمة، **{وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}** أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدا، وسلط الله عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة([2]).

---

(١) الأعراف:٧٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (٢٩٤)، والتحرير والتنوير (٢١٤/٩).

المبحث الخامس

قبول توبة التائبين والعفو عن العاصين

وفيه من الآيات قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}**(١).

تكرم الله (ﷻ) وتفضَّل على عباده الذين عصَوه، ولكنهم رجعوا إليه فتابوا، فشملتهم رحمة الله سبحانه وتعالى، ونهاهم عن القنوط، وأنهم مهما فعلوا من ذنوب ومعاص، فإن الله سبحانه سيتوب عليهم إن أخلصوا التوبة والعودة إلى الله سبحانه؛ وهذا خبر من الله تعالى ذكره في هذه السورة المباركة أنه قابل من كل تائب إليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة، كفرا كانت أو غير كفر، كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناؤه: **{وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ}** من شرك وكبائر، وصغائر **{ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا}** بأن ندموا على ما مضى، وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا **{وَآمَنُوا}** بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان **{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا}** أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة من السيئات والرجوع إلى الطاعات، **{لَغَفُورٌ}** يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض **{رَحِيمٌ}** بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها، وصفة المغفرة والرحمة، وصفانلازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد،

(١) (الأعراف:١٥٣).

فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله -تعالى- بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد[1].

1ينظر: جامع البيان (١٠/٤٦٥-٤٦٦)، وتفسير السعدي (٣٠٣، ٧٢٧).

الخَاتِمَة

الحمد لله الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الذي أسبغ عليّ نعمته ورحمته ومنّته بإتمام هذا البحث، أسأل الله الرحيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وموصلا برحمته إلى جنة النعيم.

وبعد جولة سريعة مع هذه الأجواء القرآنية من خلال إعدادي لموضوع:"الرحمة الربانية في سورة الأعراف"خرجت بجملة من النتائج أجملها فيما يلي:

- عِظم سورة الأعراف وعِظم ما اشتملت عليه من آيات الرحمة.
- أن الرحمة صفة من الصفات العليا الذاتية الثابتة لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف.
- أن الرحمن والرحيم اسمين من أسماء الله الحسنى وبينهما فروق دقيقة.
- أن لله جلّ وعلا رحمة عامة، ورحمة خاصة.
- أن رحمة الله تعالى الخاصة تنال بعد فضله ومنته بأسباب.
- أن لرحمة الله تعالى في الوجود آثارا ومظاهر معلومة ظاهرة لكل أحد.

أما التوصيات:

فإني أوصي كل مسلم لاسيما التربويون والمعلمون بتمثل خلق الرحمة والأخذ منها بالحظ الأوفر وترجمتها لواقع عملي في كل جوانب حياتنا؛ لنؤكد للعالم أجمع- الذي دأب على ربط الإسلام بالإرهاب والعنف في السنوات الأخيرة- أن ديننا دين الرحمة، فالرحمة سمة هذا الدين العظيم في كل جانب من جوانبه، في العقيدة والشريعة، والأخلاق والمعاملات بل حتى في حدوده وعقوباته رحمات.

والله المسؤول أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين وأن يمنّ علينا برحمته التي خص بها أوليائه المؤمنين إنه جواد كريم وهو أرحم الراحمين.

المصادر والمراجع

• **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

• **إعراب القرآن**، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

• **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

• **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

• **بدائع الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

• **البرهان في علوم القرآن**، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

• **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

• **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

• **البيان في عدّ آي القرآن**، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

• **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

• **تفسير عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

• **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

• **تفسير القرآن العظيم**، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق:

أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة – ١٤١٩ هـ.

• **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، لد وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.

• **تقريب التهذيب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

• **التيسير في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: اوتوتريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

• **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

• **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

• **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

• **حجـة القراءات**، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

• **الحجـة للقراء السبعة**، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

• **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

• **الرِّياض الناضِرة والحدائِق النيّرة الزَّاهِرة في العقائدِ والفنون المتنوعة الفاخِرة**، لعبد الرحمن بن ناصرالسعدي (١٣٧٦هـ)، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

• زاد المسير في علم التفسير،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧هـ)،المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الأولى –١٤٢٢ هـ.

• **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون, ١٤١٥هـ.

• **شأن الدعاء**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.

• **شرح العقيدة الواسطية**، لمحمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

• **صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي**، المحقق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

• **العجاب في بيان الأسباب**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي.

• **العنوان في القراءات السبع**، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي (المتوفى: ٤٥٥هـ)، المحقق: (الدكتور زهير زاهد – الدكتور خليل العطية) (كلية الآداب – جامعة البصرة)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

• **غريب القرآن**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.

• **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

• **فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن**، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

• فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ. معاني القراءات، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ - ١٩٩١ م.

• **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة،** لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

• **فقه الأسماء الحسنى**، لد. عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

• **في ظلال القرآن**، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

• **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

• **كتاب التعريفات**، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

• **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي (٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

• **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

• **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

• **لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على**، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.

• **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.

• **مجموع الفتاوى**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

• **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

• **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ.

• **مختار الصحاح**، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.

• **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، مؤلف الأصل: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

• **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

• **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)**، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله

النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

• **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.

• **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

• **مفاتيح الغيب**، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

• **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

• **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، لد. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

• **الناسخ والمنسوخ**، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

• **الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن بمكة والمدينة**، لمحمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري (المتوفى: ١٢٤هـ)، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٤١٢ هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

• **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

• **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

بحمد الله